

CAES
مركز الدراسات
العربية الأوراسية



كيفية توسيع الناتو

النقاشات الداخلية لإدارة كلينتون في

الفترة من 1993 إلى 1995

ماري إليز ساروت

Mary Elise Sarotte



المقدمة

يمثل توسيع منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) لتشمل دول وسط أوروبا وشرقها (CEE) أحد أكثر الخيارات الاستراتيجية إثارة للجدل في حقبة ما بعد الحرب الباردة. وفقاً لنائب مساعد وزير الخارجية الأمريكي السابق للشؤون الأوروبية رونالد آسموس (RONALD ASMUS): "كان عام 1994 هو العام الذي عبرت فيه إدارة كلينتون نهر روبيكون لاتخاذ قرار بتوسيع حلف الناتو".¹

بينما كان من الواضح بحلول ذلك الوقت أن الإدارة ستوسع التحالف، فإنه لم يكن من الواضح كيف ستفعل ذلك. لم تكن وتيرة التوسيع، ولا طريقته واضحة. كان التمديد غير المشروط في عام 1999 لعدد صغير من الدول التي تسعى إلى الانضمام، وهي (التشيك، والمجر، وبولندا) بديهيًا في البداية. في أثناء إنشاء الحلف وتوسيعه في الحرب الباردة، أبرمت دول مختلفة صفقات خاصة بشأن شروط عضويتها؛ مما أدى إلى توليد مجموعة من السوابق التاريخية. كان لدى (الدنمارك، وأيسلندا، والنرويج)، شروطها الخاصة للانضمام إلى الحلف، منها تقييد وضع الرؤوس الحربية النووية على أراضيها، أو رفض ذلك تمامًا، إلى جانب أنواع معينة من النشاط العسكري، كما حدث (إسبانيا) من اندماجها العسكري في التحالف، وانسحبت (فرنسا) من القيادة العسكرية المتكاملة عام 1966.

حتى بعد نهاية الحرب الباردة، ظلت هناك بعض القيود على عملية توسيع التحالف، وطبيعة الأسلحة التي ستوضع على أراضي الدول الأعضاء وأنواعها، وأراضي ألمانيا الشرقية السابقة عام 1990 مثال على ذلك، حيث كانت هذه القيود جزءاً من شروط الوحدة الألمانية.



نتيجة لذلك، طوال حقبة التسعينيات، كان هناك نقاش عام حيوي، ونقاش أكاديمي مؤسساتي نظري على الأخص بين الليبراليين والواقعيين، تناول ليس فقط إيجابيات أنماط التوسيع المختلفة وسلبياته؛ ولكن أيضًا مسألة ما إذا كان هذا التوسيع مطلقًا أم مُقيدًا، ونقاش عالي المستوى بشأن المخاطر الكبيرة المحيطة بهذه العملية. كما قال الرئيس بيل كلينتون للرئيس الروسي بوريس يلتسين: "لدينا أول فرصة منذ صعود الدولة القومية لكي تعيش قارة أوروبا بأسرها في سلام".

بالنظر إلى النطاق الواسع للخيارات والأخطار الشديدة، السؤال هنا: ما القضايا التي أعطتها إدارة كلينتون الأولوية في اختيار مسار التوسيع الذي فعلته في النهاية قبل خمسة وعشرين عامًا؟

لقد ألقت حسابات المشاركين في القرارات التي أدت إلى التوسيع الضوء بالفعل على هذا السؤال، ومع ذلك، يظل التقييم الشامل للأدلة التاريخية من العلماء الذين لم يشاركوا شخصيًا في الأحداث أمرًا ضروريًا. يقدم هذا البحث مثل هذا النوع من التقييم، استنادًا إلى المصادر التي فُعت عنها السرية مكتبة كلينتون الرئاسية، ووزارة الدفاع، ووزارة الخارجية؛ بسبب العديد من الطلبات والنداءات التي قدمها المؤلف، وتشمل هذه الوثائق - على وجه الخصوص - السجلات الداخلية من محادثات كلينتون و يلتسين. يعتمد البحث أيضًا على مقابلات، ومجموعات أرشيفية أمريكية وأجنبية ذات صلة، وعلى مواد رُفعت عنها السرية وحصل عليها باحثون آخرون.



باستخدام هذه المصادر لإعادة بناء سرد تحليلي لتلك الفترة الحرجة، يسلط هذه البحث الضوء على النقاش الحاد داخل إدارة كلينتون بشأن التوسيع. وكما أشار الرئيس كلينتون مراراً وتكراراً، فإن السؤالين الرئيسيين عن التوسيع هما "متى؟ وكيف؟". الحجة هنا هي أن مؤيدي منح سريع نسبياً للعضوية الكاملة لمجموعة ضيقة من البلدان تفوقوا على مؤيدي عملية توسيع أبطأ وأوسع نطاقاً وأكثر مرونة، تتجسد في برنامج يُعرف باسم (الشراكة من أجل السلام - PFP).² عرضت تلك الشراكة شكلاً مشروطاً ومفتوحاً من التعاون لجميع دول أوراسيا، بما في ذلك روسيا ودول ما بعد الاتحاد السوفيتي الأخرى، في حين وُضِعَ بند «الضمانات الكاملة» في المادة (5) (التي بموجبها يُعد الهجوم على أي عضو هجوماً على التحالف كله) لاحقاً، و فقط كمكافأة على الأداء القوي لمجموعة الأعضاء في (الشراكة من أجل السلام - PFP). لكن انتصار المدافعين عن توسيع الضمان الكامل، كان على الأقل بفضل فوز الحزب الجمهوري عام 1994، في انتخابات التجديد النصفي، وهو انتصار يعتمد جزئياً - على الدعم لتوسيع أكثر عدوانية لحلف الناتو. أدى هذا النمط من التوسيع إلى توتر العلاقات الغربية مع روسيا، مع أنه لم يؤدي في ذاته إلى زوال التعاون الأمريكي - الروسي في فترة ما بعد الحرب الباردة. وكان أهم من ذلك بكثير في هذا التطور السياسة الداخلية الروسية، والصدمة الاقتصادية في التسعينيات، وصعود نظام فلاديمير بوتين القائم والقاتل، في حين كان من المرجح ألا يؤدي النهج التدريجي إلى تفاقم الوضع بالدرجة نفسها من التدهور المستمر للعلاقات الأمريكية - الروسية الناجم عن هذه العوامل.



في تطوير حجته، يركز هذا البحث على ثلاث مراحل لصنع القرار، أو "التصعيد" في السياسة الخارجية للولايات المتحدة:

أولاً: قبل عهد كلينتون، وبعد عقود طويلة من التعامل مع مجموعة من الخيارات الاستراتيجية المحدودة في الحرب الباردة في أوروبا، واجهت الحكومة الأمريكية عام 1989 فجأة مجموعة مُحيرة من الخيارات بعد السقوط غير المتوقع لجدار برلين. وقد ردت إدارة جورج بوش الأب على هذه الأحداث عام 1990، بما يمكن وصفه بـ "السقاطة" الأولى: «رفض الرئيس بوش ومستشاروه أي مقترحات لبدائل مختلفة قد تؤدي إلى تراجع هيمنة الناتو في أوروبا، وتم توسيع التحالف ليشمل ألمانيا الشرقية؛ ومن ثم أغلق الباب أمام أي بدائل لحلف الناتو، مع إبقاء خيار التوسيع المستقبلي مفتوحاً».

ثانياً: بسبب التحول في تركيز الولايات المتحدة إلى منطقة الخليج بعد غزو صدام حسين للكويت في أغسطس (آب) 1990، والحرب التي قادتها الولايات المتحدة في تلك المنطقة عام 1991، وخسارة بوش اللاحقة انتخابات 1992، تحول الملف بالكامل في النهاية إلى إدارة كلينتون لتقرر ما إذا كانت دول أوروبا الوسطى والشرقية ستتنضم إلى التحالف، ومتى؟ وكيف؟ ونظراً إلى قلقها من رد الفعل الروسي المحتمل ضد توسيع الناتو، مع العواقب الوخيمة التي يمكن أن تترد على مجموعة من اتفاقيات الحد من الأسلحة التي كانت قيد التفاوض، اتجهت إدارة كلينتون في البداية إلى مسار بديل عام 1993: «اقترحنا واشنطن تسوية براغماتية - أي إنشاء الشراكة من أجل السلام».

ثالثاً: في أواخر عام 1994، لتوسيع الضمان الكامل لعضوية الناتو، سرعان ما هُُمشت الشراكة من أجل السلام. يستكشف هذا البحث العوامل التي حركت هذه التراجعات، التي وإن كان بعضها معروفاً فإن بعضها الآخر جديد ومثير للدهشة، مثل الطرق التي أثرت بها السياسة الأوكرانية في نقاش التوسيع،



والأدوار المعقدة التي لعبها كل من ستروب تالبوت (Strobe Talbott)،
سفير الولايات المتحدة ونائب وزير الخارجية لاحقاً، وأندري كوزيريف (Andrei
Kozyrev)، وزير الخارجية الروسي.

أخيراً، يقيّم استنتاج هذا البحث الطرق التي يمكن من خلالها إعادة صياغة
المناقشات السابقة بشأن التوسيع ودوافعه.

السقطة الأولى: لا بديل لحلف الناتو

*تستخدم الكاتبة كلمة (السقطة - Ratchet) كنوع من الاستعارة التصريحية لتحول الناتو إلى ما يشبه
ذلك الجهاز الميكانيكي الذي تعمل حركته باستمرار، وفي اتجاه واحد، ويمنع العمل في أي اتجاه مغاير،
وذلك في إشارة إلى تحول الحلف إلى جهاز بيروقراطي خلفه قوى غير راغبة في إيقافه بعد نهاية
مهمته المفترضة، أو تطويره ليعمل في اتجاه آخر خلافاً للذي تأسس من أجله وهو مواجهة الاتحاد
الشيوعي والشيوعية، حتى بعد سقوطهما- المحرر*

مع أن التركيز الرئيسي لهذا البحث يدور حول حقبة كلينتون، فإنه من
الضروري فهم الإرث الذي ورثه الرئيس كلينتون وإدارته من الإدارة السابقة
نتيجة للقرارات التي اتخذها الرئيس بوش الأب، عقب سقوط جدار برلين:
«اقترح عدد من الفاعلين الأوروبيين، ومنهم المنشقون السابقون من أوروبا
الشرقية وبعض الزعماء الغربيين، بدائل جديدة لبلدانهم». في تلك الفترة
طرح السؤال عن «الأمن المستقبلي بعد فتح جدار برلين»، وكانت جميع
الخيارات أشبه بـ «لعنة بالنسبة إلى واشنطن». كان من بين أسوأ البدائل من
وجهة نظر الولايات المتحدة، ذلك الاقتراح الذي تقدم به نشطاء «حركة
السلام» السابقون الذين ساعدوا على إنهاء الهيمنة السوفيتية على
أوطانهم، والذي دعوا فيه إلى أن تصبح أوروبا الوسطى والشرقية منطقة



منزوعة السلاح، ومنطقة عازلة محايدة بين الشرق والغرب (دون إغفال أن بعض المنشقين قد غيروا فيما بعد وجهة نظرهم وباتوا يدعمون توسيع الناتو في المنطقة). كما بدا القلق واضحاً على بعض قادة أوروبا الغربية، وشاطرهم في ذلك البعض الآخر؛ نتيجة اهتمام الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف بإنشاء منظمة أمنية لعموم أوروبا. ربما استند هذا القلق إلى مقررات مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا (CSCE) الذي كان يضم بالفعل أعضاء من حلفي الناتو ووارسو.

رداً على ذلك، «تحرك الرئيس بوش الأب بسرعة وحزم لضمان أن الناتو؛ ومن ثم قيادة الولايات المتحدة في أوروبا، بالنظر إلى هيمنتها على الحلف، لن ينجو فقط من نهاية الحرب الباردة؛ بل سيشكل أيضاً مستقبل أوروبا والعالم، ما بعد الحرب الباردة». من خلال سلسلة من المناورات الدبلوماسية الناجحة، أكمل بوش الأب الدور الرائد لحلف الناتو في الأمن الأوروبي، ووضع السابقة الأولى في التوسع داخل أراضٍ شرقية جديدة. كل ذلك دون التوقيع على أي شيء ملزم بشأن سلوك الحلف المستقبلي (بخلاف الأراضي الألمانية الشرقية السابقة، حيث كان هناك بعض القيود على وجود الناتو وقواته وأسلحته).

مع أن هذه النتيجة، أي توسيع الناتو، كانت دائماً هي الأكثر ترجيحاً، فإنه من الجدير بالذكر أن تأييد بوش الأب القوي لهذه السياسة «قد منع الخيارات الأخرى الأقل احتمالية في وقت مبكر جداً؛ ومن ثم منع أو ألغى فعلياً أي خيارات لسياسة بديلة للأمن عبر الأطلسي، وذلك قبل أن يصبح كليلنتون رئيساً». بعبارة أخرى، قامت إدارة بوش الأب بأول عملية "تقليص" للخيارات، وهي عملية لا تخلو من التكاليف.



منذ تلك اللحظة حتى يومنا هذا، طرح بشكل دائم هذا السؤال المثير للجدل،
عما إذا كانت إدارة بوش الأب قد وعدت موسكو بأنه في مقابل التسامح مع
توسيع الناتو من خلال ألمانيا الموحدة، لن يسعى الحلف إلى مزيد من التوسع
شرقاً.

تتراوح الآراء بشأن هذا الموضوع من النفي المطلق إلى التأكيد المطلق.
الأساس الذي ينطلق منه هذا البحث، هو الاعتقاد بالرأي القائل إنه على الرغم
من أن قضية توسيع الناتو قد أثّرت بشكل متكرر كجزء من المناقشات بشأن
الوحدة الألمانية- بما في ذلك المناقشة التخمينية بشأن مستقبل دول
أوروبا الوسطى والشرقية- فإنه لم يتم التوصل إلى أي اتفاق مكتوب ملزم
يحظر التوسيع اللاحق. كما كتب وزير الخارجية الروسي السابق يفغيني
بريماكوف عام 2015: "مع الأسف الشديد، على المرء أن يستنتج أن تأكيدات
القادة الغربيين لعدم توسيع حلف الناتو شرقاً لم تُوضع في معاهدة، أو أي
إطار قانوني". كما أشار إلى أن هذا النقص في توثيق هذا الوعد وكتابته كان
مؤسفاً جداً؛ لأن: "لدينا كل الأسباب للاعتقاد أنه كان من الممكن القيام بذلك
الأمر في ذلك الوقت"، لكن هذا لم يحدث. بدلاً من ذلك، ما تم التوقيع عليه
كان له طابع مختلف تماماً، حيث "وقع الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة
وبريطانيا وفرنسا في سبتمبر/أيلول 1990 على التسوية النهائية لإعادة
السيادة إلى ألمانيا، وهي تسوية، بدلاً من أن تنص على حظر تحرك الناتو
عبر خط 1989، مكنت صراحةً ألمانيا الموحدة من الانضمام إلى تحالف عسكري
من اختيارها، وسمحت لاحقاً لحلف شمال الأطلسي بالتوسع شرقاً".



لكن بحلول وقت هذه التسوية، كان اهتمام بوش الأب، قد انصب على منطقة الخليج، بعد غزو صدام حسين للكويت في أغسطس (آب) 1990. كانت سياسة الولايات المتحدة تجاه أوروبا- نتيجة لذلك الغزو- قد تراجعت تراجعاً كبيراً في قائمة أولويات إدارة بوش الأب، فيما يبدو أن إدارته افترضت أنها يمكن أن تعود إلى هذه القضايا بعد انتخابات 1992. بدلاً من ذلك، أصبح كلينتون ومساعدوه هم المسؤولين عن صياغة تلك السياسات وصنعها بعد هذه الانتخابات، لكن كان عليهم العمل ضمن قيود إرث بوش الأب. كما قال الباحث وموظف السلك الدبلوماسي السابق ويليام هيل: "ربما لم يدرك الأمريكيون ولا الأوروبيون تماماً في ذلك الوقت، أنه بين عامي 1989 و1991، قد اتخذت الإدارة الأمريكية بالفعل القرارات والخطوات الأكثر أهمية في صياغة نظام عالمي جديد بعد الحرب الباردة".

السقطة الثانية: نهج مرحلي والشراكة من أجل السلام

هكذا ترك بوش لكلينتون عدداً من "المعطيات"، لكن كانت لا تزال هناك مجموعة من القضايا المفتوحة.

إذن، ما العوامل التي شكلت عملية صنع القرار للرئيس الجديد؟

كان أول عنصر حاسم هو الضغط المستمر من قادة أوروبا الوسطى والشرقية لعضوية بلدانهم في المؤسسات السياسية والاقتصادية والأمنية الغربية، وعلى الأخص الاتحاد الأوروبي، وحلف شمال الأطلسي. بحلول الوقت الذي جاء فيه كلينتون إلى الرئاسة، كان من الواضح بالفعل لدول دول أوروبا الوسطى والشرقية أن الاتحاد الأوروبي يُفضل عملية بطيئة وتدرجية للتوسيع في فترة ما بعد الحرب الباردة. نتيجة لذلك، ضاعف قادة أوروبا



الوسطى والشرقية جهودهم في توسيع حلف الناتو، وهي الجهود التي عُرِضَتْ بالكامل من خلال سلسلة من الاجتماعات الثنائية في أبريل (نيسان) 1993 في واشنطن، المصاحبة للافتتاح الرسمي لمتحف ذكرى الهولوكوست في الولايات المتحدة. كما حذر ليخ فاوينسا (LECH WAŁĘSA)، المعارض البولندي الذي تحول إلى رئيس، كليتتون قائلاً: "كلنا خائفون من روسيا... إذا تبنت روسيا سياسة خارجية عدوانية مرة أخرى، فسيؤجّه هذا العدوان نحو أوكرانيا وبولندا. لأجل ذلك لا يمكن أن تُترك بولندا دون أن يدافع أحد عنها؛ ولذا هي بحاجة إلى أن تحميها عضلات الولايات المتحدة".

في البداية، كانت وزارة الخارجية مترددة في الاستجابة لرغبات بولندا. في 10 يونيو (حزيران) 1993، قال وزير الخارجية وارن كريستوفر (WARREN CHRISTOPHER)، في اجتماع لوزراء خارجية الناتو، إنه: "في الوقت المناسب، قد نختار توسيع عضوية الناتو". إضافة إلى ذلك، كان من الضروري وضع أهداف السياسة الخارجية الأمريكية الأخرى في الحُسبان، مثل نزع السلاح النووي من أوكرانيا. إذا توسع الناتو في الوقت الحالي، فإنه: "من الصعب أن نرى كيف يمكن لأوكرانيا أن تقبل أن تكون منطقة عازلة بين الناتو وأوروبا وروسيا"، وهذا سيعوق جهودنا للتخلص من الأسلحة النووية الأوكرانية.

كان الجنرال جون شاليكاشفيلي (JOHN SHALIKASHVILI)، الذي شغل منصب القائد الأعلى لحلف شمال الأطلسي في أوروبا قبل أن يصبح رئيساً لهيئة الأركان المشتركة في أكتوبر (تشرين الأول) 1993، قلقاً بالمثل بشأن العلاقات الأمريكية مع روسيا والجمهوريات السوفيتية السابقة الأخرى. من بين ملاحظاته التي وُزِعَتْ داخل الإدارة، قال إن روسيا: "لم تكن ناضجة بما يكفي لفهم دوافعنا حول توسيع عضوية حلف الناتو"، وإن الولايات المتحدة لا



يمكنها: "المخاطرة بردود الفعل الروسية على توسيع الناتو على حساب العلاقة مع روسيا".

في خضم هذا التذبذب في واشنطن، حاول الرئيس البولندي ليخ فاوينا فرض الأمور عبر مغامرة دراماتيكية، حيث «دفع الرئيس يلتسين إلى التعبير عن استعداداته للسماح لبولندا بأن تصبح جزءاً من الناتو». خلال عشاء جمع بينهما، أعقبته جلسة شراب في وارسو، يوم 24 أغسطس (آب) 1993، أقنع فاوينا الرئيس الروسي يلتسين بالموافقة على صدور بيان مشترك، مفاده بأن عضوية بولندا في الناتو "لا تتعارض مع مصالح أي دولة، بما في ذلك روسيا".

في اليوم التالي، وبعدما استيقظ يلتسين وأفاق من شرابه، وتحت ضغط من مستشاريه، حاول - دون جدوى - التراجع عن البيان، حينها سأله فاوينا: "هل تؤمن حقاً أن بولندا دولة ذات سيادة؟"، فأجابه الرئيس الروسي: "نعم". بعدها رد فاوينا: "بصفتها دولة ذات سيادة، قررت بولندا أن تنضم إلى حلف الناتو"، وأن الحصول على موافقة يلتسين الآن: "من شأنها أن تمنع الصراع في المستقبل"، حينها رضخ يلتسين، ولكن ليس بدون الحصول على شيء يريده أيضاً. أبلغت السفارة الأمريكية في وارسو واشنطن بأن فاوينا و يلتسين قد توصلا إلى "تفاهم ضمني بأن البولنديين لن يتدخلوا في شؤون أوكرانيا حال حدث أي نزاع يتعلق بروسيا إلا في حالة وقوع هجوم عسكري". هذه «المقايضة بشأن أوكرانيا شائعة على نطاق عريض، وقد تبدو معقولة، وإن لم يكن هناك دليل مكتوب يؤكدتها»، لكن في ذلك الوقت، لاحظ السياسيون الأوكرانيون - حسبما ورد - تباعدًا بينهم وبين زملائهم البولنديين.



بغض النظر عن صحة الأمر من عدمه، فقد كان يلتسين واضحاً في موقفه تجاه الرغبات البولندية؛ لأنه بعد ذلك بوقت قصير أبلغ كلينتون أيضاً أن: "سيسحب جميع القوات السوفيتية السابقة من بولندا". كان انسحاب القوات من أجزاء مختلفة من حلف وارسو السابق، بما في ذلك ألمانيا الشرقية السابقة، على جدول الأعمال لفترة طويلة؛ لكن الحديث عن إخراج القوات ومشاهدتها تغادر في الواقع كانا شيئين مختلفين. في الواقع، كما قال أنتوني ليك (ANTHONY LAKE)، مستشار الأمن القومي لكلينتون: "الدافع وراء المساعدة الألمانية الغزيرة لروسيا، والدول المستقلة حديثاً من الاتحاد السوفيتي في التسعينيات، التي قدرت وزارة الخارجية قيمتها بـ 75 مليار دولار تم التعهد بها منذ عام 1990، كان مرتبطاً - إلى حد كبير - بالموافقة على وحدة ألمانيا، ومغادرة القوات الروسية من ألمانيا الشرقية، التي تقرر في 31 أغسطس (آب) 1994".

كان تنازل يلتسين لصالح ليخ فاوينسا، من شأنه أن يجذب انتباهاً جديداً لمسألة متى قد تنضم بولندا إلى حلف الناتو، لكن في ظل عدم صدور بيان ذي أهمية من الخارجية، وفي الشهر نفسه زاد من النقاش. في ذلك الوقت، دافع:

- رونالد أسموس (RONALD ASMUS) - نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكي للشؤون الأوروبية.
- ريتشارد كوغلر (RICHARD L. KUGLER) - الباحث الأول في مركز التكنولوجيا وسياسة الأمن القومي.
- ستيفن لارابي (F. STEPHEN LARRABEE) - عضو مجلس الأمن القومي الأمريكي المتخصص في شؤون الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية.



بقوة عن "صفقة استراتيجية أمريكية-أوروبية جديدة"، وهي صفقة تمتد لتشمل ترتيبات الدفاع والأمن الجماعية لحلف الناتو إلى تلك المناطق التي تكمن فيها بذور الصراع المستقبلي في أوروبا (الحدود الشرقية والجنوبية لحلف الأطلسي). في مواجهة هذه التطورات، نصحت السفارة الأمريكية في موسكو بتوخي الحذر. حذر السفير توماس آر بيكرينغ (THOMAS R. PICKERING) واشنطن من أن: "يلتسين قد قام بإيماءات إلى مضيفه خلال الزيارات السابقة للخارج، سرعان ما تراجع عنها حكومته".

كان بيكرينغ على حق. في رسالة إلى كلينتون، سبتمبر (أيلول) 1993، تراجع يلتسين عن امتيازه الذي منحه لصالح قاوينسا، وقال إنه على الرغم من أن موسكو كانت: "متعاطفة مع مشاعر الحنين تجاه لأوروبا الشرقية، والتعاون السابق في إطار حلف وارسو، ولكن بأي حال من الأحوال فإن توسيع الناتو لم يكن هو الحل، وقد يكون الأفضل بدلاً من ذلك، إنشاء نظام أمني حقيقي يشمل عموم أوروبا". ولدعم هذا الاتجاه، أعاد يلتسين إحياء الخلاف بشأن الادعاء بحصول موسكو على وعد، عام 1990، في خضم عملية الاتحاد الألماني. على الرغم من عدم قدرته على الإشارة إلى وثيقة معينة تحظر توسيع الناتو، فإنه جادل بأن التوسيع ينتهك هذا التعهد المفترض، قائلاً إن: "روح المعاهدة بشأن التسوية النهائية فيما يتعلق بألمانيا، قد ضمت في بنودها حظر نشر القوات الأجنبية داخل الأراضي الشرقية لجمهورية ألمانيا الاتحادية؛ مما يحول دون خيار توسيع منطقة الناتو إلى الشرق".

ناقش وزير الخارجية كريستوفر، والأمين العام لحلف الناتو مانفريد ورنر (MANFRED WÖRNER)، تعليقات يلتسين بشأن «معاهدة التسوية النهائية فيما يتعلق بألمانيا»- المعروفة أيضاً باسم (اتفاقية اثنين + أربعة)³.



دار النقاش بين وارن كريستوفر ووزير الخارجية الألماني كلاوس كينكل (KLAUS KINKEL)، ومساعديه في أكتوبر (تشرين الأول) 1993. أحد كبار مستشاري كينكل، وهو ديتر كاستروب (DIETER KASTRUP)، أبلغ كريستوفر أن: "إشارة خطاب يلتسين إلى معاهدة (اثنين + أربعة)، وربطها بتوسيع الناتو، تمثل خطأ في الفهم الرسمي لمضمون المعاهدة، لكن موقفه له مضمون سياسي ونفسي، علينا أن نتعامل معه بجدية". كما جادل الأمين العام لحلف الناتو مانفريد ورنر بضرورة رفض الغرب أي ربط أو علاقة بين تلك التسوية وتوسيع الناتو، ثم سأل كينكل كريستوفر عما إذا كان حكام الولايات المتحدة قد اتخذوا أي قرارات بشأن توسيع الناتو، وهو ما لم يرد عليه وزير الخارجية بعد. كذلك دفع مانفريد ورنر- مرة أخرى- بضرورة عدم التردد في توسيع الناتو، قائلاً: "علينا جميعاً ألا نفقد تلك الفرصة النادرة لإرساء تحالف هذه الدول مرة واحدة وإلى الأبد مع الغرب". مانفريد ورنر سيموت بسبب السرطان عام 1994، ولم يعيش ليرى التوسع الذي دافع عنه ودفع به يحدث في النهاية.

لتحقيق التوازن بين هذه المخاوف المختلفة، بدأت إدارة كلينتون باستكشاف الأساليب التي من شأنها أن تؤدي إلى توسيع الناتو تدريجياً. في سبتمبر (أيلول) 1993، قدم اريك إس. إيدلمان (ERIC S. EDELMAN)، وهو موظف رفيع في الخدمة الخارجية، لمحة عامة عن ستروب تالبوت، الذي كان، بالإضافة إلى عمله سفيراً متجولاً في الدول المستقلة حديثاً (NIS) عن الاتحاد السوفيتي السابق، كان صديقاً مقرباً لكلينتون منذ أيام عملهما في «منحة رودس»⁴. وكما قال توماس دونيلون (THOMAS E. DONILON)، رئيس موظفي وزير الخارجية كريستوفر: "هناك شخص واحد فقط في هذا المبنى يتصل به الرئيس كل ليلة أحد ليرى كيف يعمل، وهذا الشخص ليس وارن



كريستوفر". وهكذا، أدرك كل من شارك في النقاش بشأن توسيع الناتو أن تفكير ستروب تالبوت كان مهماً جداً.

نصح إيدلمان تالبوت بعدم دعم الفكرة القائلة: "إن دول أوروبا الوسطى والشرقية يجب أن تنضم أولاً إلى الاتحاد الأوروبي، وأن تحصل على ضماناتها الأمنية من الأوروبيين دون الشراكة عبر الأطلسي"، وقال: "إنه خيار فوضوي جداً ولا ينبغي أن نشجعه، بدلاً من ذلك يجب على الولايات المتحدة أن تنفذ توسيع الناتو على مراحل".

المرحلة الأولى: يتعين على الأعضاء المحتملين في الحلف أن يصبحوا مشاركين كاملي العضوية في مجلس تعاون شمال الأطلسي (NACC).⁵ وهو منتدى للحوار أقيم في عهد الرئيس بوش الأب، وقد أشار إيدلمان إلى أن: "هذه الخطوة الأولى الحاسمة ستجذب إلينا أوزبكستان وكازاخستان، وما إلى ذلك من دول الاتحاد السوفيتي السابقة".

المرحلة الثانية: تستمر من عام إلى عامين، ويجب أن تكون هناك اتفاقيات فردية بين الأعضاء المحتملين وحلف شمال الأطلسي، مع بعض التدريبات المشتركة، ثم يمكن للدول ذات الأداء العالي أن تحصل في المرحلة الثالثة على عضوية منتسبة في الناتو، تدوم من ثلاث إلى خمس سنوات.

المرحلة الأخيرة: في غضون من سبع إلى عشر سنوات تقريباً، ستصبح العضوية الكاملة في الناتو مع ضمانات المادة (5) خياراً لأولئك الذين نجحوا في جميع المراحل السابقة. وأضاف إيدلمان أنه "قد يكون من المفيد إنشاء بعض المجموعات".



- المجموعة (A): تضم دول "مجموعة فيشغراد"- [مرجع مختصر لجمهوريات: التشيك والمجر وبولندا وسلوفاكيا].
- المجموعة (B): تضم روسيا وبيلاروس وأوكرانيا.
- المجموعة (C): تضم بلدان البلقان والبلطيق.

كما اقترح إيدلمان، كترتيب جانبي، "تطوير ميثاق منفصل بين الناتو وروسيا، وهذا من شأنه أن يساعد يلتسين وشركاه على تجريد منتقديهم في الداخل من سلاح الهجوم عليهم".

في سبتمبر (أيلول) 1993، دافعت وكالة وزارة الخارجية لين ديفيس (LYNN E. DAVIS) أيضاً عن القبول التدريجي بعضوية الناتو، مع تقديم ضمانات المادة (5) لاحقاً. وأشارت إلى أن تفكيرها كان مستمداً من آراء وزير الدفاع الألماني، فولكر روه (VOLKER RÜHE)، الذي أكد على أنه مؤيداً قوياً للتوسيع بخطاب ألقاه في مارس (آذار) 1993، إلا أن ديفيس أعربت عن قلقها من أن: "ألمانيا تقف على خط المواجهة الرئيسي في ظل حالة من عدم الاستقرار في أوروبا الوسطى، وليس لديها الموارد ولا الميول السياسية الكافية للتعامل مع هذه المشكلات من جانب واحد". ورأى المسؤولان أن الدفاع عن برلين يتطلب إضافة بولندا إلى الناتو. كما قال نائب الأدميرال أولريش وايسر (ULRICH WEISSER)، أحد كبار مستشاري وزير الدفاع الألماني روه: "سيكون من الأسهل بكثير الدفاع عن ألمانيا في بولندا مقارنة بألمانيا في ألمانيا".

لم يكن الألمان وحدهم من يفكر بهذه الطريقة. كما نصح ستيفين جاي فلاناغان (STEPHEN J. FLANAGAN)، المسؤول في وزارة الخارجية، رؤساءه عام 1992 قائلاً: "من غير المرجح أن يستضيف الألمان 95٪ من وجودنا العسكري في أوروبا فترة أطول. نحن بحاجة إلى أراضٍ أخرى نمتلكها". وأعرب عن قلقه من أن: "معظم دول أوروبا الغربية إما لا تشعر بالتهديد، وإما لا تميل إلى



استضافة قوات عسكرية على أراضيها، وإما قد ترغب في الحصول على مقابل كبير جداً للقبول بقواعد عسكرية جديدة". مع ذلك، كان الخبر السار بالنسبة إلى الولايات المتحدة هو أن: "القضايا السوفيتية القديمة العالقة في بولندا ستنتهي عبر صفقة رابحة، وسنكون أبطالاً في نظر البولنديين". باختصار، إذا طلب منه «الرهان على ما إذا كان لواء معين من الجيش الأمريكي سيكون موضع ترحيب أكبر في ألمانيا أو بولندا في عام 1995، فإنه سيضع رهانه المالي على الأخير».

اكتسبت مسألة أمن أوروبا الوسطى والشرقية إلحاحاً جديداً في الفترة من سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الأول) 1993، عندما اندلعت التوترات بين يلتسين والبرلمانيين الروس، الذين حاولوا نزع قوة الآخر، وتحولت إلى أعمال عنف في الشوارع. أقنع يلتسين قادة الجيش أن القوة المميّزة ضرورية للحفاظ على النظام. في 4 أكتوبر (تشرين الأول) اقتحمت الدبابات البيت الأبيض، مقر البرلمان ورمز الديمقراطية الروسية. ومع أن الأزمة انتهت بانتصار محلي للرئيس يلتسن، فإنه كان انتصاراً باهظ الثمن من منظور السياسة الخارجية؛ فقد «تسببت الأحداث في روسيا في شيوع حالة من الهلع في جميع أنحاء أوروبا، ولا سيما ألمانيا، التي كما ذكرنا سابقاً، لا تزال لديها قوات سوفيتية سابقة على أراضيها بموجب اتفاقية تبقّيها حتى عام 1994».

بدأ المتابعون في العواصم الأجنبية بالشك فيما إذا كان بإمكان روسيا التحول نحو الإصلاح سلمياً (أو عدم إمكانية حدوث ذلك على الإطلاق)، ورأى استراتيجيو ما تسمى "روسوفوبيا"⁶ أن وجهة نظرهم القائمة عن موسكو، قد باتت مؤكدة.

وفقاً لوزير الخارجية كريستوفر، فإن الجدل الداخلي للإدارة بشأن توسيع الناتو قد اكتسب دفعة جديدة في أكتوبر (تشرين الأول) 1993- على الأرجح بفضل



هذه الأحداث في موسكو- واستلزم اجتماعاً للمسؤولين في 18 أكتوبر (تشرين الأول) 1993.

قبل الاجتماع، التقى كريستوفر وزيرة الدفاع ليسلي آسبن (LESLIE ASPIN JR) على الغداء، بحضور أنتوني ليك، في محاولة فاشلة لتسوية الاختلافات الرئيسية بين مواقف وزارتي الدفاع والخارجية «بشأن ما إذا كان الناتو سيلتزم، في قمة يناير (كانون الثاني)، بعملية التوسيع، أم سيعلق الأمر ويتركه عرضة للغموض». أعرب آسبن، وأيده في ذلك (جون شاليكاشفيلي)، عن معارضته التوسيع السريع، لأسباب ليس أقلها أن مناقشة مسألة توسيع الناتو «ركزت حتى الآن على مصالح أوروبا الوسطى والشرقية، بدلاً من مصالح حكومة الولايات المتحدة»، وهو خطأ استراتيجي في نظرهم. كان مكتب وزير الدفاع (OSD) ثابتاً في رأيه: "لا يرى مكتب وزير الدفاع أي شرط أو ميزة في توسيع الناتو، ومنح عضويته لبلدان إضافية في هذا الوقت". بدلا من ذلك، كان الخيار المفضل بالنسبة إلى البننتاغون هو (الشراكة من أجل السلام-PfP). في الواقع، اقترح البننتاغون هذه الشراكة جزئياً كرد فعل على التفكك المأساوي المستمر ليوغوسلافيا؛ مما جعل الحاجة إلى منظمات فعالة تركز على حفظ السلام أمراً واضحاً وضحاً صارخاً. كان هناك توافق طبيعي على أن «أزمة البلقان مشكلة تتطلب حلاً، وكانت الشراكة من أجل السلام- التابعة لحلف الناتو- تمثل حلاً للبحث عن نهاية لهذه المشكلة». جادل رونالد آسموس لاحقاً بأن توسيع الناتو لم يكن ليحدث في الواقع "في غياب الجهود الشاملة للولايات المتحدة والناتو من أجل وقف الحرب المستعرة في البوسنة".

من خلال اقتراح (الشراكة من أجل السلام- PfP) قام شاليكاشفيلي ومستشاروه بوضع عدة سيناريوهات مختلفة مكنتهم من إنتاج خرائط



طريق لمعالجة كل من أزمة البلقان وتوسيع الناتو؛ ومن ثم خلقوا صلة بين هدفين:

- الهدف الأول: توسيع التحالف بالمعنى الوظيفي (أي ليشمل حفظ السلام)، وبمعنى جغرافي (ضم بلدان حلف وارسو السابق والجمهوريات السوفيتية). كما كان للشراكة فائدة في تجنب إنشاء جبهة جديدة عبر أوروبا، وبدلاً من ذلك «ستكون مفتوحة للدول المحايدة وغير المنحازة، وكذلك دول وسط وشرق أوروبا، بما في ذلك روسيا وأوكرانيا»؛ ونتيجة لذلك فإن أوروبا «لن تُحدّد من خلال الحدود الجغرافية، ولكن من خلال تأكيد الدولة لمبادئ الاتفاقية ومشاركتها النشطة في (الشراكة من أجل السلام) الخاصة بحلف الناتو». في أفضل السيناريوهات، قدمت (الشراكة من أجل السلام) وعداً طويل المدى بأن تصبح خياراً أمنياً «لعموم أوروبا»، وهو ما سعى إليه العديد من القادة الأوروبيين بعد سقوط جدار برلين، حتى إن الشراكة تمكنت من تحديد مكان لأوكرانيا في نظام الأمن الأوروبي بطريقة لا تنفر روسيا.
- الهدف الثاني: كميزة إضافية، يمكن تصوير (الشراكة من أجل السلام) على أنها نقطة انطلاق إلى العضوية الكاملة في وقت لاحق؛ وهكذا، كما قال وزير الدفاع آسبن، كان أحد الإنجازات الرئيسية للشراكات من أجل السلام، وضع توسيع الناتو في نهاية عملية طويلة المدى، وليس بدايتها.

بسبب الفوائد المتعددة الجوانب لخطة البرنامج، أشادت مادلين أولبرايت (MADELEINE ALBRIGHT)، سفيرة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة في ذلك الوقت، أمام الرئيس، ببرنامج الشراكة من أجل السلام؛ فمن وجهة نظرها، نجحت هذه الآلية في ضرب ثلاثة عصافير بحجر واحد، على ما يبدو



(تنشيط الناتو، وتجنب استعداد روسيا من خلال تغذية الميول القومية، وتهدة المخاوف المتزايدة في وسط أوروبا وشرقها).

نتيجة لهذه المزايا العديدة، انتصرت الشراكة من أجل السلام، ولاققت قبولا حتى من الرافضين داخل وزارة الخارجية. قبيل اجتماع المسؤولين، أرسل ستروب تالبوت مذكرة تأييد قوية إلى رئيسه وزير الخارجية كريستوفر، تدعم موقف البنتاغون. لقد نصح كريستوفر بأنه: "يجب أن نأخذ الفكرة الجديدة التي يبدو لي أنها تقريبا الفكرة الوحيدة المقبولة عالميا، وهي الشراكة من أجل حفظ السلام، التي هي حقا خطة شاملة، وأن تنحصر تصريحاتنا الرسمية حولها، بدلا من الحديث عن توسيع عضوية الناتو". كما نصح- بشكل خاص- بعدم إصدار ما قد يبدو "إشارات مبهجة" لدول أوروبا الوسطى والشرقية في أثناء محاولته طمأنة روسيا علنا.

أقنعت مذكرة تالبوت كريستوفر، الذي ساعد بدوره على التأثير في اجتماع المديرين؛ ومن ثم كانت التوصية السياسية الناتجة لقمة الناتو القادمة هي إطلاق الشراكة من أجل السلام، مع إبقاء الغموض بشأن آليات الحصول على العضوية الكاملة.

بحسب ما ورد، كان ليك، الذي أيد التوسيع بقوة، منزعجا؛ لأنه في النهاية كان الطرف الخاسر، ولم يتمكن من فرض وجهة نظره، وما زاد من انزعاجه ما أخبره إياه في وقت لاحق من ذلك العام، زبغنيو بريجينسكي (ZBIGNIEW BRZEZINSKI)، مستشار الرئيس جيمي كارتر للأمن القومي أن الرئيس بوش قد أدخل ألمانيا في الناتو؛ لذلك يجب أن يكون كلينتون قادرا على الأقل على تحقيق الشيء نفسه لبولندا.



في 22 أكتوبر (تشرين الأول) 1993، قدم كريستوفر فكرة الشراكة من أجل السلام إلى يلتسين شخصياً في رحلة إلى روسيا. طلب يلتسين توضيحاً مفاده: "هل ستكون جميع البلدان في أوروبا الوسطى والشرقية والدول المستقلة حديثاً على قدم المساواة، وستحصل على شراكة وعضوية كاملة؟". أجاب كريستوفر: "نعم، هذا هو ما ستكون عليه الحال، الجميع ستكون له عضوية كاملة، ولن يكون هناك مجال لصفة عضو منتسب"، فردّ يلتسين: "هذه فكرة رائعة، إنها ضربة عبقرية". ثم أردف قائلاً إن: "هذه الآلية ستعمل على تبديد كل التوتر الذي نواجهه الآن في روسيا فيما يتعلق بدول أوروبا الشرقية، وتطلعاتها المتعلقة بحلف شمال الأطلسي". واختتم يلتسين حديثه قائلاً: "إنها حقاً فكرة رائعة، رائعة حقاً". ثم طلب من كريستوفر أن ينقل رسالة للرئيس الأمريكي مفادها: "بيل، أنا سعيد بهذه التسديدة الرائعة".

في المقابل، كان لدى دول أوروبا الوسطى والشرقية تحفظات كبيرة بشأن الفكرة، وكان لا بد من التحدث إليهم عنها لدعمها. في محاولة لتهدئة المخاوف التي أبدتها دول "مجموعة فيشغراد" في أواخر عام 1993، وأوائل عام 1994، كلف كلينتون أولبرايت وشاليكاشفيلي، من بين آخرين، بالسفر إلى دول أوروبا الوسطى والشرقية وإقناعها بأن دعم الشراكة من أجل السلام في مصلحة تلك الدول (وُلد كلٌّ من أولبرايت وشاليكاشفيلي في المنطقة؛ فهي من تشيكوسلوفاكيا، وهو من أبوين جورجيين عاشا في بولندا). حاولت أولبرايت وشاليكاشفيلي تملق الرئيس البولندي ليخ فاوینسا، من خلال "مناقشة زئبقية استمرت 75 دقيقة"، وحثّاه على "إظهار الشجاعة السياسية والدهاء والحنكة التي جعلته مشهوراً بأخذ زمام المبادرة في قبول الشراكة من أجل السلام". اشتكى فاوینسا من أن: "الناتو قد أضع بالفعل فرصتين



سهلتين لتوسيع الحلف إلى الشرق، إحداهما في أثناء انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991، والثانية عندما لم يستغل إعلان يلتسين، في أغسطس (آب)، بأنه لن يمانع في عضوية بولندا في الناتو، والآن، أدت كل تلك الفرص الضائعة إلى تنبه المعارضة الروسية وتأجيحها". رد شاليكاشفيلي بالقول إن: "الشراكة من أجل السلام ستؤسس أنماطاً ومستويات غير مسبوقة من التعاون العسكري التي من شأنها تعزيز إمكانية التشغيل البيئي مع قوات الناتو". لقد هدأ فاوينسا بالقول إن: "النقاش في الناتو مؤخراً لم يعد يدور حول ما إذا كان سيتوسع شرقاً أم لا، ولكن متى؟ وكيف؟". وبعد هذه المحادثة، أيد البولنديون الشراكة على مضض.

أطلق الناتو رسمياً (الشراكة من أجل السلام) خلال بيان صحفي صادر عن قمته في 11 يناير (كانون الثاني) 1994، واحتفل كلينتون بالمناسبة بحضور تلك القمة كجزء من رحلته الأولى إلى أوروبا بصفته رئيساً. كما سافر إلى اجتماع إقليمي لاحق في أوروبا الوسطى والشرقية في براغ، ودافع في أثناء زيارته عن (الشراكة من أجل السلام) أمام زملائه القادة فاتسلاف هافيل، الرئيس التشيكي، وليخ فاوينسا. كما أكد كلينتون أن (الشراكة من أجل السلام) تتيح: "البدء الآن في التدريب المشترك والتمارين، وإدخال قوات الناتو في وسط أوروبا وشرقها، لكن ما يميز هذا الوجود العسكري الجديد أنه لا يرسم خطأ آخر يقسم أوروبا على بُعد بضعة مئات من الأميال شرقاً". كانت هذه النقطة مهمة - بشكل خاص - لرئيس الولايات المتحدة؛ لأن «أوكرانيا - على وجه الخصوص - لا تريد أن تُدفع مرة أخرى إلى فلك روسيا». توقع كلينتون أنه "من بين جميع دول العالم الأخرى" ينبغي لدول أوروبا الوسطى والشرقية "فهم الضرر الناجم عن خطوط الانقسام، ودفع الجمهوريات



السوفيتية السابقة إلى فلك روسيا"، في إشارة من الولايات المتحدة بأنها لن تترك مصائر هذه الدول لروسيا لكي تحددتها.

كان كريستوفر وتالبوت أكثر صراحة في اجتماعاتهما مع وزراء خارجية دول "مجموعة فيشغراد"، حيث جادل كلاهما بأن "أحد أفضل الأشياء في الشراكة من أجل السلام هو أنها يمكن أن تسير في أي اتجاه- يمكن أن تميل إلى الأمام لقبول روسيا إذا ظهر لنا أننا نتعامل حقاً مع دب روسي طيب، ولكن يمكن أن تؤدي أيضاً إلى نوع من الاحتواء، لمواجهة جديدة لحقبة ما بعد الحرب الباردة إذا أظهرت روسيا أي نيات جديدة للتوسع".

لم يقتنع هاثيل وغيره من قادة أوروبا الوسطى والشرقية بهذه النظرية. ردد الرئيس التشيكي ما قاله زملاؤه من خلال الإصرار على أن كلينتون: "يجب أن يؤكد أن الشراكة من أجل السلام هي الخطوة الأولى المؤدية إلى العضوية الكاملة في الناتو". لقد نجح الضغط. في المؤتمر الصحفي لقمة براغ، تحدث كلينتون بالكلمات التي كان يأمل هو والآخرون سماعها: "صحيح أن الشراكة لا تُعد عضوية في الناتو، لكنها في المقابل ليست نهاية المطاف؛ بل مرحلة من عدة مراحل لتوسيع حلف الناتو؛ وعليه لم يعد السؤال الآن ما إذا كان الناتو سيقبل أعضاء جددًا أم لا، ولكن متى؟ وكيف؟".

من المفارقات العجيبة لهذا المؤتمر شعور جميع الأطراف أنها قد حققت نصراً؛ حيث «رأى أنصار الشراكة من أجل السلام المؤتمر الصحفي للرئيس كلينتون على أنه تأييد للدور المهم للشراكة من أجل السلام في عملية التوسيع، في حين أدرك قادة أوروبا الوسطى والشرقية ومعارضو الشراكة من أجل السلام، وكان إدراكهم صحيحاً إلى حد بعيد، أن بيانه الصحفي قد وفر لهم نفوذاً كبيراً». بدأ مؤيدو توسيع الضمان الكامل في تكرار عبارة "لم يعد السؤال ما إذا كان الحلف سيتوسع شرقاً أم لا، بل متى؟ وكيف؟" كصرخة



حاشدة في كل فرصة، ووضع إسقاطاتهم الخاصة على كلمة "كيف؟" التي أضافها كلينتون. كما علق ليك بعد المؤتمر الصحفي في براغ قائلاً: "أخيراً باتت لدينا الآن إشارة رئاسية واضحة بشأن توسيع الناتو"، وكان هو وآخرون يعلمون أنه يمكنهم استخدام هذه الإشارة لتعزيز وجهات نظرهم. ستشكل جهود ليك الشخصية لإقناع تالبوت بالحاجة إلى توسيع المادة (5) بالكامل جزءاً مهماً من النجاح النهائي لتلك السياسة.

لم تلق - بكل تأكيد - تعليقات المؤتمر الصحفي لكلينتون ترحيباً في موسكو، حيث سافر الرئيس بعد ذلك لرؤية يلتسين، وكان سبب اجتماع الزعيمين من بين أسباب أخرى، هو توقيع ما يسمى بالاتفاق الثلاثي، نتيجة جهود الولايات المتحدة للتوسط في اتفاق من شأنه أن يؤدي إلى نقل الأسلحة النووية في أوكرانيا إلى روسيا لإزالتها، وفي المقابل ستحصل أوكرانيا على «تعويض عن القيمة الاقتصادية لليورانيوم العالي التخصيب في الرؤوس الحربية، ومساعدة الولايات المتحدة على تفكيك الصواريخ وصوامع الصواريخ والقاذفات والبنية التحتية النووية على أراضيها». كان مثل هذا التعويض حيويًا؛ لأنه في منتصف التسعينيات كانت أوكرانيا، على حد تعبير تالبوت: "تتجه نحو الفوضى، والهاوية الاقتصادية". كما وعدت الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا بأنها "تضمن" - لم تقل "نقدم ضمانات" - (الفرق بين كلا المصطلحين له مغزى) الحفاظ على وحدة أراضي أوكرانيا، وقد تم توثيق هذه التأكيدات لاحقًا عبر وثيقة مكتوبة فيما يسمى مذكرة بودابست (BUDAPEST MEMORANDUM ON SECURITY ASSURANCES) الصادرة في ديسمبر (كانون الأول) 1994.

كان يلتسين مستعداً للتعامل مع هذه القضية، حيث سئم من التعامل مع الزعيم الأوكراني ليونيد كرافتشوك. في أثناء معاينة مراسم التوقيع، أوضح



يلتسين لكلينتون أن الطرف الأوكراني سيشارك في هذا الاتفاق لفترةٍ وجيزة، ولكن بعد التوقيع: "لن نولي المزيد من الاهتمام لكراقتشوك، الذي سيغادر". (سيستمر الأوكرانيون في إكمال نقل الأسلحة النووية، على الرغم من ادعاءات المشككين بأنهم لن يفعلوا ذلك، في يونيو/ حزيران 1996). بالانتقال إلى مسألة توسيع الناتو، واستشعاراً للغموض الذي أحدثته تصريحات كلينتون في المؤتمر الصحفي الأخير، أكد يلتسين أهمية النهج التدريجي للتوسيع، مشدداً على أنه يجب أن تكون روسيا: "أول دولة تنضم إلى الناتو، ثم يمكن للآخرين من أوروبا الوسطى والشرقية القدوم". مع ذلك، أشار إلى أن "روسيا ليست مستعدة بعد للانضمام إلى الناتو؛ جزئياً لأنها قلقة من "رد الفعل الصيني المحتمل".

فور عودته إلى واشنطن، خلال مأدبة غداء دسمة في مطعم فيلومينا، يوم 31 يناير (كانون الثاني) 1994، ناقش كلينتون رحلته إلى موسكو مع المستشار الألماني الزائر، هيلموت كول.

سأل الرئيس الأمريكي كول عما إذا كان قلقاً بشأن أوكرانيا،

فأجابه المستشار: "لقد أخبرت يلتسين أنه في حالة وجود أي شك أن روسيا تريد ضم أوكرانيا إليها؛ سيكون رد الفعل كارثياً".

وافق كلينتون قائلاً: "إذا انهارت أوكرانيا؛ بسبب النفوذ الروسي، أو بسبب القوميين المتشددين داخل أوكرانيا، أو لأي سبب آخر، فإن ذلك سيقوض النظرية الكاملة لشراكة الناتو من أجل السلام - أوكرانيا هي المحور الأساسي للفكرة بكاملها، كما إنها أحد الأسباب التي جعلت جميع دول حلف وارسو السابقة مستعدة لدعم الشراكة من أجل السلام هو فهمهم لما كنا نقوله عن أوكرانيا". وافق كول، وأشار إلى أسبابه الخاصة لدعم الشراكة من أجل



السلام، قائلاً: "الجرح الذي لا يزال ينزف للألمان الذين عاشوا هناك عبر «خط أودر- نايسه»⁷. ثم أكمل كول قائلاً: "إنه يتعافى الآن، وسرعة هذا التعافي تعتمد على المدى الذي يقترب فيه البولنديون من أوروبا، فهذا التقارب يساعدنا مساعدة كبيرة".

أخبر كول، كلينتون أنه يأمل أن يتوسع الاتحاد الأوروبي ليشمل بولندا ودولاً أخرى في أوروبا الوسطى والشرقية أيضاً، لكن كما لاحظ لاحقاً "أصبح واضحاً جداً" بالنسبة إليه أن "عددًا كبيراً من أعضاء الاتحاد الأوروبي لا يريدون توسيع الاتحاد". لقد اعتاد معظم الأعضاء على حقيقة أن الاتحاد الأوروبي قد وضع قواعده أعضاؤه الجنوبيون، ولم يرغبوا في تغيير ذلك. كان كول محبطاً بسبب هذا التفكير بين حلفائه الأوروبيين؛ ومن ثم كان من أكثر الناس سعادة لتوصل كلينتون إلى استراتيجية أمريكية عملية وناجحة تجاه روسيا.

السقطة الثالثة: توسيع بضمان كامل

على الرغم من هذا النجاح المبكر لمبدأ (الشراكة من أجل السلام)، يُطرح دوماً هذا السؤال: لماذا خسر النهج التدريجي للتوسيع بحلول نهاية عام 1994؟

يرجع السبب في ذلك إلى سيطرة مفهوميين مختلفين بشأن مستقبل الأمن الأوروبي، وإلى التطورات السياسية في كل من الولايات المتحدة وخارجها، التي عززت من موقف معارضي (الشراكة من أجل السلام). وعلى الصعيد المفاهيمي، فإن الرأيين وإن كانا متعارضين في طبيعتهما، فإنهما يتقاربان بشأن سياسة توسيع الضمان الكامل.

- وجهة النظر الأولى: ترى أنه يمكن لواشنطن، من خلال توسيع ضمانات الناتو إلى أقصى الشرق قدر الإمكان، تجاوز مرحلة الاحتواء لخلق حقبة جديدة من الاستقرار والتعاون الدولي. ونتيجة لذلك، جادل أصحاب هذا



الرأي بأن دول أوراسيا ستشعر بمزيد من الأمان، سواء نالت عضوية الناتو أم لا؛ ومن ثم ستكون مستعدة لقبول التطورات التي كانت تخشاها في السابق (مما يعني أن روسيا ستقبل اقتراب حدود الناتو منها). شكّل هذا الاعتقاد حجر الزاوية في خطاب عام كبير ألقاه أنتوني ليك، في 21 سبتمبر (أيلول) 1993، حيث قال: "يجب أن يخلف مبدأ الاحتواء الاستراتيجية التوسيع"، أو كما قال رونالد آسموس: "يمكن لحلف الناتو التحرك إلى ما بعد حدود الحرب الباردة لضمان وحدة أوروبا الكاملة، وحريتها، وعيشها في سلام".

- وجهة النظر الثانية: ترى أن على واشنطن أن تسعى إلى توسيع حلف الناتو بوصفه وسيلة للانتقال من سياسة الاحتواء التي كانت سائدة زمن الاتحاد السوفيتي، إلى الإخضاع ما بعد الحرب الباردة؛ ولذلك فإن التوسيع مهم لضمان عدم قدرة موسكو على القيام بأي إجراءات انتقامية مستقبلاً (مع أن هذا الدافع يجب أن يظل بعيداً عن أعين الجمهور، ولا يتم الحديث عنه صراحةً).

كما سيُوضّح بالتفصيل أدناه، كان مؤيدو هاتين النظرتين قادرين على تهميش (الشراكة من أجل السلام). لقد فعلوا ذلك ليأس المدافعين عن النهج التدريجي، مثل ويليام بيرى (WILLIAM PERRY)، الذي خلف آسبن وزيراً للدفاع عام 1994. جادل بيرى في ذلك العام بأن ما يجب أن يكون "في المقدمة والوسط" في التفكير الأمريكي "قيام مفاوضات جادة مع روسيا بشأن تقليص ترسانتها النووية الضخمة، وليس استفزازها لتوسيعها".

لسوء حظ بيرى، لم تؤيد التطورات السياسية عام 1994 وجهة نظره. بدأت موسكو في توجيه دعوات لمنح وضع خاص لروسيا فيما يتعلق بكل من (الشراكة من أجل السلام) و(الناتو). بطريقة غير مقبولة لواشنطن، كان



الروس يأملون- على ما يبدو- في استخدام عضويتهم في (الشراكة من أجل السلام) لخفض مرتبة حلف الناتو ككل. وجد وزير الخارجية كريستوفر أنه ووزير الخارجية البريطاني دوغلاس هيرد (DOUGLAS HURD)، والمديرة السياسية في وزارة الخارجية البريطانية بولين نيفيل جونز (PAULINE NEVILLE-JONES)، يتشاطرون جميعاً المخاوف نفسها بشأن هذه القضية. أشارت نيفيل جونز- باستنكار- إلى أن موسكو "تبدو وكأنها تتصور مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا كإطار مهيمن، يضم كلاً من أعضاء الناتو ودول الفضاء السوفيتي السابق". ثم أكملت: "لقد أرادوا السيطرة على مؤسساتنا، والحصول على مكانة متساوية لمؤسساتهم".

كما أشار وزير الخارجية الروسي كوزيريف إلى حاجة روسيا إلى مزيد من الفهم والوضوح بشأن: "أدوار الناتو ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا"، لتجنب "الانطباع بأن حلف الناتو يقود مسيرة المنتصر باتجاه الشرق". أثبتت هذه التصريحات أنها كانت غير موفقة، لا سيما أنها جاءت خلال حملة انتخابات الكونغرس النصفية لعام 1994، حيث كان هذا العقد في أمريكا للحزب الجمهوري، وكانت مسألة توسيع حلف الناتو جزءاً من حملة الحزب الانتخابية؛ مما وضع ضغطاً جديداً على كلينتون. إضافة إلى ذلك، أدت تصرفات موسكو إلى تفاقم مستويات التوتر العالية بالفعل بشأن عدة قضايا معاصرة أخرى، مثل اعتقال ألدريتش أميس (ALDRICH HAZEN AMES) عام 1994 وإدانته، وهو ضابط في وكالة المخابرات المركزية تحول إلى عميل روسي، والصعوبات مع موسكو بشأن كيفية مواجهة أعمال العنف في يوغوسلافيا السابقة. نتيجة لذلك، أصبحت إدارة كلينتون، كما جاء في الأوراق التحضيرية الداخلية للقمة الأمريكية- الروسية في يوليو (تموز) 1994 "متفائلة تفاؤلاً غير واقعي بشأن



قدرة يلتسين على الحفاظ على الإصلاح، وساذجة بشأن نيات روسيا في التعامل مع بلدان جوارها القريب".

في خضم هذا النقد، غادر كلينتون مرة أخرى إلى أوروبا، حيث قام بزيارات إلى عدة مدن، من بينها برلين ووارسو، وتحدث إلى البرلمان البولندي في 7 يوليو (تموز) 1994. أتيحت للقادة البولنديين مرة أخرى فرصة لدفع قضيتهم إلى الأمام مع الرئيس، ومرة أخرى كان لنداءاتهم تأثير. في تصريحاته أمام البرلمان، قلل كلينتون - بشكل ملحوظ - من أهمية (الشراكة من أجل السلام)، فعلى حد تعبيره، ذكر أن "الشراكة من أجل السلام هي مجرد بداية، وليست نهاية". كما قال: "إن انضمام أعضاء جدد إلى حلف الناتو، كما قلت مرات عديدة، لم يعد مسألة شك أو جدل، أو موضع تساؤل؛ بل السؤال هو: متى يتم ذلك؟ وكيف؟".

في أعقاب هذه الملحوظات، شعر الدبلوماسي الأمريكي ونائب الأمين العام السابق لمنظمة حلف شمال الأطلسي، ألكسندر فيرشبو (ALEXANDER VERSHBOW)، بفرصة للعمل على تدعيم جبهة "كيف؟"، فنصح رئيسه، مستشار الأمن القومي ليك، بأن النهج التدريجي يحتاج إلى إعادة التفكير. جادل فيرشبو ضد القيام في البداية بأي شيء من شأنه أن يقلل من قيمة الشراكة من أجل السلام في عيون بلدان أوروبا الوسطى والشرقية والدول المستقلة حديثاً، وأوصى بعدم بدء المشاورات الرسمية بشأن التوسيع حتى عام 1994 على الأقل. ثم قال: "في نهاية المطاف، لن تتأهل روسيا لعضوية الناتو، وهدفنا يجب أن يكمن في أن تصبح موسكو حليفة للحلف". ومع ذلك، "في العلن، نحتاج إلى الحفاظ على الغموض بشأن هذه المسألة، وتجنب تعقيد الوضع الداخلي على يلتسين، وإتاحة الوقت لتطوير نموذج مماثل لعلاقة الناتو مع أوكرانيا". كما كان القلق بشأن أوكرانيا مهماً بشكل خاص؛



لأن الرئيس الجديد ليونيد كوتشما، أوضح أن الالتزام الأوكراني بنزع السلاح النووي "لن يكون أولوية عليا بالنسبة إليه".

كان يلتسين، بالطبع، قادراً على تعقيد وضعه الداخلي بمفرده. في 31 أغسطس (آب) 1994، حضر احتفالا في برلين بمناسبة الانتهاء الذي طال انتظاره من انسحاب جميع القوات السوفيتية السابقة من ألمانيا. بحلول ذلك الوقت، كان إجمالي عدد الجنود الذين غادروا بالفعل (546,200). كانت مراسم الوداع أشبه بلحظة فظيعة ومُذلة للسياسة الخارجية الروسية.

كانت أهمية الانتصار السوفيتي على النازيين مكوناً أساسياً للهوية السوفيتية والروسية، والسياسة والحياة لعقود. الآن، على ما يبدو، كان على موسكو التغلب على حالة التراجع المُهين. وكما عبرت أنجيلا ستنت (ANGELA E. STENT)، المسؤولة السابقة في المخابرات القومية لشؤون روسيا وأوراسيا: "لقد بات الضباط المتشردون والعاطلون عن العمل رمزاً لهذا الإذلال الدراماتيكي للقوات المسلحة السوفيتية التي كانت ذات يوم كبيرة وقوية، وأصبحوا فيما بعد مصدرًا رئيسياً لدعم الجماعات اليمينية". أدلى المستشار كول بتصريحات حزينة في الحفل، مشيراً إلى كيف كان الانسحاب قبل عشر أو حتى ست سنوات غير وارد على الإطلاق. تحدث بصراحة عن مأساة الحرب العالمية الثانية، وملايين الوفيات التي تسبب فيها الاتحاد السوفيتي، وكل ذلك "باسم ألمانيا". لسوء الحظ، بدأ يلتسين في شرب الخمر بكثرة في الليلة السابقة، واستمر في فعل ذلك طوال الصباح في الحفل. عندما بدأت فرقة عسكرية بالعزف، استولى على عصا قائد الأوركسترا وبدأ بالقيادة، ثم حاول حث الجمهور على الانضمام إليه في غناء الأغنية الشعبية الروسية كالينكا مالينكا (Калинка малинка). شعر بعض مساعديه بالرعب من سلوكه،



إلى درجة أنهم كتبوا لاحقاً نداءً مشتركاً بشأن تصرفاته وإفراطه في شرب الكحول، تبني إعلانه نائب روسي شهير.

مع قدر أقل من الرثاء، أعلنت قوى الاحتلال الغربية السابقة انسحاب قواتها من برلين في أوائل خريف 1994، على الرغم من بقائها، لكن على أساس كونها قوات حليفة لألمانيا في الناتو، حيث بقي ما يقرب من (100,000) جندي أمريكي في البلاد. بمناسبة الانسحاب النهائي للولايات المتحدة من برلين، عقد الألمان مؤتمراً رفيع المستوى في سبتمبر (أيلول) 1994، بعنوان «التقاليد الجديدة»، ألقى فيه نائب الرئيس ألبرت أرنولد آل غور الابن (ALBERT ARNOLD GORE JR)، كلمة عبر الفيديو بسبب إصابة أبقته في المنزل، قال فيها: "أريد تذكيركم جميعاً بمقولة الرئيس كلينتون في وارسو في وقت سابق من هذا العام (لم يعد الحديث بعد الآن هل سيدخل أعضاء جدد إلى الناتو أم لا؛ بل السؤال هو متى؟ وكيف؟)".

أكد نائب الرئيس بحق أن: "انهيار الاتحاد السوفيتي لم يقدم لنا في ذاته نظاماً عالمياً جديداً ناضجاً وجاهزاً للانطلاق. بدلاً من ذلك، أوجد فترة انتقالية عميقة قد تؤدي إلى الوصول إلى العالم الذي كافحنا بشدة لأجله، أو عالم غارق في كوابيس جديدة".

تحدث وزير الدفاع الألماني فولكر روه فوراً بعد آل غور، بخطاب قوض استراتيجية الشراكة من أجل السلام الشاملة، حيث قال: "يجب أن تكون سياستنا واضحة تماماً. ليست كل البلدان في وسط أوروبا وشرقها مرشحة للاندماج". مع أن المجر وبولندا والتشيك وسلوفاكيا، لديها استعداد جدير بالاهتمام، فقد أعلن روه أن روسيا، على النقيض من ذلك، "لا يمكن دمجها، لا في الاتحاد الأوروبي، ولا في حلف شمال الأطلسي". ضخمت آراء روه في واشنطن على يد سفير الولايات المتحدة السابق في ألمانيا ريتشارد هولبروك



(RICHARD HOLBROOKE)، الذي اتفق مع وزير الدفاع الألماني (روه) على الحاجة إلى توسيع حلف الناتو في أقرب وقت ممكن. عندما عاد هولبروك إلى واشنطن ليصبح مساعداً لوزير الخارجية، حصل على منصة جديدة لبحث وجهة نظرهما المشتركة. كان هولبروك أيضاً مسؤولاً - إلى حد كبير - عن نص خطاب آل غور، وعلى تشجيع صديقه روه على تصريحاته القوية اللاحقة.

على خشبة المسرح مع روه في برلين، بدا وزير الدفاع بيرري مصدوماً، وحاول التراجع عن بعض ما قاله آل غور وروه للتو. على الرغم من انزعاج بيرري، واصل هولبروك الضغط على هذه القضية في واشنطن، بدعوى أنه يجب أن يرأس مجموعة عمل جديدة تسمى "مجموعة العمل المشتركة بين الوكالات" (IWG) لتعنى بشؤون سياسة الناتو.

ظهرت (IWG) بفضل تالبوت، الذي كان قد بدأ في إعادة التفكير في تفضيله السابق للمشاركة من أجل السلام، وبدأ في تقديم المشورة لكريستوفر بأن توسيع الناتو يمكن أن يساعد على إدارة نزاعات ما بعد الحرب الباردة، مثل تفكك يوغوسلافيا. أراد تالبوت أن يكون هذا التحول في البداية هادئاً. ومع ذلك، كان من الواضح جداً «أن توسيع الناتو، عند حدوثه، سيكون أشبه بعقاب أو احتواء جديد للدب الروسي السيئ».

نجح هولبروك في تولي مسؤولية "مجموعة العمل المشتركة بين الوكالات" (IWG)، وأظهرت الأوراق التحضيرية لاجتماعها الأول، في 22 سبتمبر (أيلول) 1994، وضوحاً وفضافة جديدين. لقد ولت المناقشات بشأن الارتباطات الجزئية التدريجية، وأصبح «الهدف هو تحقيق توسيع الناتو»، وقد ذكرت أوراق الإحاطة ذلك الأمر بشكل قاطع. احتاجت الولايات المتحدة إلى تطوير "شعور بالحمية" بشأن هذه السياسة، وتوضيح أنه، كما هي الحال مع الوحدة الألمانية، بالنسبة إلى المعارضين، «ستكون تكاليف عرقلة حتمية



توسيع الناتو باهظة جداً؛ ومن ثم فإن المهمة تصبح جعل الشيء المرفوض مستساغاً». كما كان ينبغي تجنب أي حديث عن "التعويض". بدلاً من ذلك، يجب على الولايات المتحدة أن تجعل الآخرين يعتقدون أن هذا الأمر "لمصلحتهم". لكن، وكما هي الحال دائماً، ستكون أوكرانيا قضية رئيسية، «أوكرانيا موضوع صعب بشكل خاص».

نتيجة لذلك، كانت هناك حاجة إلى «تجنب إعطاء أوكرانيا ذريعة للاحتفاظ بالأسلحة النووية»؛ لذلك كان على واشنطن أن تضع في حساباتها «تأثير زخم مناقشة التوسيع في التقدم الذي أحرزته أوكرانيا بشأن تفكيك الأسلحة النووية، ومعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية» - [أي خطتها للانضمام إلى معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية].

من المفترض، مع ذلك، أنه فور أن تصل عملية نزع السلاح النووي إلى نتيجة مرضية، فإن هذا القلق بشأن الذريعة سوف يتلاشى. كانت للاعتراضات الروسية أهمية ثانوية، وفق ما جاء في محضر الجلسات: "لا ينبغي أن نرتدع بشأن ما إذا كان من الممكن بيع الأساس المنطقي للتوسيع للروس أو للآخرين. لأنهم لن يقبلوا به الآن تحت أي ظرف من الظروف، وسيحاولون منع التوسيع، أو تأخيرها؛" ومن ثم فإن "الهدف هو منحهم شيئاً يمكننا استخدامه، ويمكنهم العمل معه، عندما يحين الوقت".

كاد اجتماع "مجموعة العمل المشتركة بين الوكالات" (IWG) نفسه يؤدي إلى مشادة جسدية. وفقاً لروايات الثلاثين شخصاً الذين كانوا في الغرفة، وقد تحدث بعضهم إلى واشنطن بوست (THE WASHINGTON POST) بعد ذلك بوقت قصير. بدأ هولبروك الاجتماع بتأكيد أنه جاء فقط لتنفيذ قرار الرئيس توسيع الناتو. عندما سأل بعض المشاركين، وعلى الأخص من البننتاغون، عن سبب عدم إبلاغ الرئيس لهم بهذا القرار بنفسه، استشهد هولبروك بمؤتمر



براغ الصحفي في يناير (كانون الثاني) 1994، والتعليقات الرئاسية في أوروبا، يوليو (تموز) من العام نفسه، وخطاب مؤتمر نائب الرئيس آل غور، عن «التقاليد الجديدة» كدليل على ذلك. بالفعل نُشرت هذه السياسة الهادفة لتوسيع الناتو بشكل كافٍ. عندما كان الجنرال ويسلي كلارك (WESLEY CLARK) من هيئة الأركان المشتركة لا يزال يعترض على هذه الخطوات المتسارعة، رد هولبروك قائلاً: "يبدو لي اعتراضك بمنزلة عصيان للأوامر الرئاسية. نحن بحاجة إلى تسوية هذا الأمر الآن سواء أكنت موافقاً على برنامج الرئيس بشأن توسيع الناتو أم لا". دفعت فورة هولبروك (كلارك) للرد بأنه: "يخدم بلاده بالزي العسكري منذ عقود ولم يُتهم قط بالعصيان". كان المشاركون قلقين، (أو يأملون) من أن الرجلين قد يتشابكان بالأيدي، فتدخل بعضهم لإعادة المناقشة إلى مسارها الصحيح. في تقرير مطول عن التوسيع صاغه كلارك، إلى حد كبير، ردت وزارة الدفاع بإظهار التكلفة الضخمة، ومقدار العمل المطلوب لدمج دول أوروبا الوسطى والشرقية في تحالف الناتو. في أثناء الحديث عن التقرير، وضع ممثلو البننتاغون كومة من الأوراق طولها أربع أقدام على المنضدة أمام هولبروك وزملائه، وسردوا معايير الناتو التي يتعين على الأعضاء المحتملين تلبيتها في كل شيء، بدءاً من "منصات إطلاق طائرات الهليكوبتر إلى محيط دائرة فوهات البنزين".

في سبتمبر (أيلول) 1994، قدم بييري لمحمة عامة عن القضايا المفتوحة إلى الرئيسين كلينتون ويلتسين خلال زيارة الأخير لواشنطن مع وزير دفاعه، بافيل غراتشيف (PAVEL GRACHEV)، تضمنت ما لا يقل عن ثلاث اتفاقيات رئيسية، هي (ستارت 1، وستارت 2، وستارت 3).

كان كلينتون يضغط أيضاً على يلتسين بشأن برنامج الأسلحة البيولوجية الروسية، الذي كان غورباتشوف ادعى سابقاً أنه أوقفه. اعترف يلتسين بأن



"غورباتشوف كذب، أو كذب جيشه عليه. ولم يتوقف البرنامج عام 1988". أوضح يلتسين أنه بعد وصوله إلى السلطة "أمر بإيقاف جميع الأنشطة، وجميع الأبواب الخاصة بالبرنامج باتت مغلقة ومختومة"، لكنه أكد في الوقت نفسه: "واجهتنا مشكلة في الحصول على وظائف للأشخاص العاملين في البرنامج". على الرغم من الحاجة إلى العمل على حل هذه القضايا الاستراتيجية، فإن كلينتون أخبر يلتسين أنه "سيكون هناك توسيع في حلف الناتو... وأنا ستمضي قدماً في هذا الأمر". وأظهر بيانه أن دعاة المضي قدماً بقوة أكبر في توسيع الناتو، يكتسبون زخماً.

بعد زيارة يلتسين، قدم ألكسندر فيرشبو إلى ليك أفكاراً عما شعر به هو وزميلاه دانييل فريد (DANIEL FRIED)، ونيكولاس بورنس (NICHOLAS BURNS) فيما يسمى صناع سياسة الترويك المؤيدة للتوسيع في مجلس الأمن القومي (NSC). في رأيهم، حتى هولبروك لم يتحرك بالسرعة الكافية؛ لأن "مجموعة العمل المشتركة بين الوكالات" (IWG) التي تم الترويج لها ترويجاً كبيراً كانت بدايتها بطيئة وحادة. كما رفضت الترويك فكرة النهج التدريجي. بدلاً من ذلك، يجب على الأعضاء الجدد "اكتساب جميع الحقوق والمسؤوليات الخاصة بالأعضاء الحاليين، بما في ذلك (الضمان الكامل للمادة 5)، مع وجود بند مُلزم للحلف بدمجهم بالكامل في نهاية المطاف داخل الهياكل العسكرية لحلف الناتو". على الأكثر، ستكون هناك "مرونة في القضايا العملية، مثل تمرکز القوات الأجنبية". مع أن الناتو يجب أن ينسق مع الاتحاد الأوروبي، فإنه لا ينبغي أن ينتظر توسيع الاتحاد الأوروبي، وأهم من ذلك، سيتم الاحتفاظ بالأساس المنطقي "لسياسة التأمين" أو "التحوط الاستراتيجي" (أي الاحتواء الجديد لروسيا)، لكن في الخلفية فقط، ونادراً ما سيعبر عنه تعبيراً علنياً.



كان يقال في العلن: "لا ينبغي استبعاد إمكانية العضوية على المدى الطويل لروسيا ديمقراطية بشكل صريح" حسب وتيرة عمل وزير الدفاع الألماني (فولكر روه)، وأشار الثلاثة إلى أن موقفهم القوي المؤيد للتوسيع قد أثار معارضة حتى داخل مجلس الأمن القومي، ويرجع ذلك جزئياً إلى أنه سيقوض الجهود المبذولة لبناء (الشراكة من أجل السلام). بعد إزالة الشكاوى بشأن هولبروك، وإضافة جملة عن أهمية "عضوية الناتو المحتملة لأوكرانيا ودول البلطيق"، مرر ليك، الذي يبدو أنه غير مهتم بهذه المعارضة، نسخة معدلة قليلاً من المذكرة باسمه إلى كلينتون، قرأها في 13 أكتوبر (تشرين الأول) 1994، ولاحظ عبارة "يبدو هذا المقترح جيداً" بخط اليد.

كان لهذا الموقف الأمريكي المتغير تجاه التوسيع تأثير غير متوقع عندما ظهرت تلميحات منه في بيان صادر عن الاجتماع نصف السنوي لوزراء الخارجية والدفاع في حلف الناتو مجموعة تُعرف باسم "مجلس شمال الأطلسي" (NAC). كما وصفها بيرري لاحقاً، كانت هذه الاجتماعات "في العادة شؤون روتينية"، حيث يتم تسوية أي شيء مهم بشكل خاص بين الأعضاء الرئيسيين، تاركاً الاجتماع لإصدار بيان مكتوب سلفاً مع "عفوية خيالية".

في الغالب، أشاد هذا البيان الخاص بدور "مجلس شمال الأطلسي" (NAC)، ونجاح (الشراكة من أجل السلام)، التي تضم الآن (23) عضواً، وكان لديها مكاتب في "خلية تنسيق الشراكة" في مونس، ببلجيكا، وقد أجرت ثلاث تدريبات ناجحة في خريف عام 1994. تضمن البيان أيضاً صياغة لفتت انتباه يلتسين وأثارت استياءه: "نتوقع ونرحب بتوسيع الناتو الذي سيصل إلى دول ديمقراطية في شرقنا". كان من المتوقع في ذلك الوقت أن يوافق وزير خارجيته، كوزيريث، المعروف بأنه شخص يميل إلى العمل مع الغرب، على اتفاقيات أولية تؤدي إلى عضوية روسيا في (الشراكة من أجل السلام)، لكنه



أشار فجأة إلى أنه لم يعد قادراً على فعل ذلك. لقد كانت علامة مشؤومة، مع ظهور الأسوأ في قمة بودابست، التي ثبت أنها كارثة. هناك، اجتمع أكثر من خمسين رئيس دولة وحكومة في 5 ديسمبر (كانون الأول) 1994، لإعادة تسمية مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا إلى "منظمة الأمن والتعاون في أوروبا" (OSCE)، على أمل أن يكون لها مستقبل أكثر بروراً كمنظمة بدلاً من كونها مجرد مؤتمر. لكن هذه الآمال تبددت؛ لأنه كما كتب وليام هيل، كانت إحدى القصص الأكثر حزناً في العقود الماضية هي: "التطور السريع، ثم الضمور السريع بالقدر نفسه لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، التي كانت ذات يوم لها أهداف طموحة". لقد ثبت أنها واحدة من خيبات الأمل العديدة التي ظهرت من قمة ديسمبر (كانون الأول) 1994. كانت مذكرة بودابست الأخرى نسخة مكتوبة من الضمانات المتعلقة بوحدة الأراضي التي وُعدت بها أوكرانيا في وقت توقيع البيان الثلاثي. وبعد أن شعر الأوكرانيون بالمشكلات التي ستحدث في المستقبل، اتصلوا بالمسؤولين الرسميين في السفارة الأمريكية في كييف عشية القمة، وقالوا لهم إن "ليس لديهم أوهام بأن الروس سوف يلتزمون بالاتفاقيات التي وقعوا عليها". وبدلاً من ذلك، كانت حكومة أوكرانيا تأمل في "الحصول على اتفاقيات تجعل من الممكن للحكومة الأوكرانية، أن تطلب المساعدة في المنتديات الدولية عندما ينتهك الروس الاتفاقيات". ومع ذلك، في عام 2014، عندما انتقل الروس بزي رسمي غير مميز إلى شبه جزيرة القرم، أصبح من الواضح أن هذه المساعدة لن تكون وشيكة. بالإضافة إلى ذلك، شكلت النغمة السلبية العامة للقمة نقطة تحول مفاهيمية، حيث كانت الأكثر تصادماً من أي تجمع رئيسي بعد الحرب الباردة حتى ذلك التاريخ.



دون سابق إنذار، قرر يلتسين التنفيس عن إحباطاته علانية في قمة بودابست بحضور كلينتون، واتهم الرئيس الروسي الولايات المتحدة بالمخاطرة من أجل توسيع الناتو، والمخاطرة بـ "سلام بارد" في أعقاب الحرب الباردة. في رحلة العودة من بودابست إلى واشنطن، أشار تالبوت إلى أن الرئيس "كان غاضباً من فريق السياسة الخارجية الخاص به لجره عبر المحيط الأطلسي ليكون أشبه بكيس ملاكمة ليلتسين". كان هناك ما هو أسوأ قادم. بعد نحو أسبوع من قمة بودابست، غزت القوات الروسية منطقة الشيشان المتمردة؛ مما أدى إلى مزيد من القشعريرة لزملاء دول أوروبا الوسطى والشرقية، وبدء صراع دموي طويل الأمد.

وصفت السفارة الأمريكية في موسكو موقف يلتسين بأنه أشبه بموقف "رجل أعمال علم للتو أن شريكه قد حصل على بوليصة تأمين جديدة في حالة فشل مشروعهم". من الواضح أن يلتسين ومستشاريه افترضوا أنه مع استمرار (الشراكة من أجل السلام) في شكلها الوليد، فإن التقدم نحو التوسيع سيتوقف. وفقاً لتالبوت، اعتقد كوزيريف أن الأوروبيين الغربيين يتفقون معه؛ لأنهم "كانوا يتكلمون بشكل سيئ عن موقفنا"، قائلين للروس: "مشكلتكم ليست معنا؛ إنها مع الأمريكيين، إنهم من يدفعون إلى توسيع الناتو". ونتيجة لذلك، رأى كوزيريف فرصة لإجراء مناورة "انشقاق" عن المواقف المتفق عليها سابقاً، وكانت النتيجة كارثة بودابست.

بعد القمة، توجه نائب الرئيس آل غور إلى موسكو لمحاولة إصلاح الضرر، وطمأنة يلتسين أنه لن يحدث أي شيء ذي أهمية فيما يتعلق بتوسيع الناتو عام 1995، أي خلال الفترة التي سبقت حملة يلتسين لإعادة انتخابه عام 1996. كما كتب كلينتون إلى يلتسين لتعزيز ما قاله غور: "الناتو لن يتوسع في عام 1995، ولن تكون هناك مفاوضات بشأن قبول دول جديدة في الناتو".



بدلاً من ذلك، ستكون هناك دراسة داخلية فقط، وهذا من شأنه "المضي قدماً بالتوازي" مع تطور العلاقات مع روسيا. كان آل غور قد سلح نفسه باستعارة كان يأمل أن تجذب فخر مضيفيه الروس: "فكرة أن المناورة في العلاقات الأمريكية الروسية، وعملية توسيع الناتو إلى الأمام في وقتٍ واحد تشبه إجراءات الالتحام المستخدمة لمحاذاة المركبة الفضائية بمحطة فضائية". نجحت استعارة آل غور وجهود كلينتون في إصلاح العلاقات إلى حدٍ ما، لكن الضرر كان قد حدث على كل حال.

عند تحليل زيارة آل غور لوزير الخارجية كريستوفر بعد ذلك، أعرب تالبوت عن شكوكه في حكمة نهج نائب الرئيس نحو التهدئة مع روسيا، الذي بدا للوهلة الأولى أن تالبوت كان سيؤيده في وقتٍ سابق. مع ذلك، لم يكن تالبوت متأكدًا من مزايا هذا التوجه، ورد قائلاً: "يعتمد موقفنا الحالي على اقتراح أن توسيع الناتو لن يُوجّه إلى روسيا، ولكن هل نحن حقًا نعتقد ذلك؟ بالتأكيد لا، ومن المؤكد أن البولنديين والتشيكيين لا يعتقدون ذلك".

كانت كارثة مؤتمر بودابست، وما حدث بعده، تتعلق أيضًا بوليام بيرري، ولكن لأسباب مختلفة. لم يستطع أن يفهم سبب إصدار بيان "مجلس شمال الأطلسي" (NAC)، والسماح له بالتسبب في كثير من الضرر، في حين على حد علم بيرري "لم يتخذ كلينتون قرارًا نهائيًا بعد بشأن توسيع الناتو". في المقابل، اعتقد معارضو بيرري أن وزير الدفاع كان يغلق عينيه - عن عمد - على واقع ما بعد انتخابات التجديد النصفية، وأن الضغط من أجل التوسيع سيصبح أكثر عدوانية. ومع ذلك طلب بيرري عقد اجتماع على مستوى عالٍ للاستماع مباشرةً من الرئيس إلى ماهية سياسة الولايات المتحدة. في 21 ديسمبر (كانون الأول) 1994، انضم بيرري إلى آل غور وكريستوفر وليك وتالبوت وصمويل بيرغر (نائب ليك) لعقد مناقشة نقدية.



لاحظ آل غور، الذي عاد مؤخراً من زيارته إلى يلتسين، أن أحد أسباب كارثة بودابست هو أن "الأوروبيين جعلوا الروس يدورون حول أنفسهم" بشأن التحركات الأمريكية، مما زاد من قلق يلتسين. ثم أكمل في أثناء مناقشتهم الداخلية: "الحقيقة هي أن لدينا دوافع متضاربة، فيما يتعلق بدول أوروبا الوسطى والشرقية والروس". كانت الحقيقة الصعبة هي أن واشنطن لا تستطيع إعطاء الأولوية لكلا الأمرين في الوقت نفسه. في النهاية، وفقاً لما قاله بييري، شعر كلينتون وآل غور أن الحق كان إلى جانب دول أوروبا الشرقية التي أرادت الانضمام إلى حلف الناتو قريباً، وأن تأجيل التوسيع حتى وقت لاحق من هذا العقد لم يكن ممكناً، وأنه يمكن إقناع الروس بأن التوسيع لن يكن موجهاً إليهم. استقرت المجموعة على إطار زمني من أربع إلى خمس سنوات، مع أنه - كما أضاف كريستوفر - "لا ينبغي أن يصرح أي منا بذلك علناً". منزعاً من قرار كلينتون، فكر وزير الدفاع وليام بييري في الاستقالة. بدلاً من ذلك، أخبر فريقه أنه أصبح من الواضح الآن أن التوسيع "سيمضي قدماً وفقاً لجدول زمني سريع"؛ ونتيجة لذلك، سيكون هناك "صراع شاق" لإبقاء التعاون الأمريكي الروسي على المسار الصحيح.

ساهم التحول في التفكير الأمريكي بشكل غير مفاجئ في مزيد من التوترات مع موسكو، كما يتضح من مفاوضات ستروب تالبوت اللاحقة. حاول كوزيريف إقناع تالبوت بأن الفكرة الأفضل ستكون تحويل الناتو إلى "منظمة أمن جماعي بدلاً من وسيلة للاحتواء" من خلال تعديل معاهدة حلف شمال الأطلسي. رفض تالبوت الفكرة قائلاً: "لن نفكر- بأي حال من الأحوال- في إمكانية إعادة تعريف وظيفة الناتو بأي طريقة تعرض مهمته الأساسية للخطر". بصراحة "لسنا في مجال الاضطرار إلى تعويض روسيا، أو شراء قبولها. روسيا لا تقدم لنا معروفاً بالسماح لحلف شمال الأطلسي بالتوسع".



تطورت وجهات نظر ستروب تالبوت تطوراً كبيراً منذ أكتوبر (تشرين الأول) 1993، عندما أيد النهج التدريجي. أيضاً، في فبراير (شباط) 1994، رُقِّيَ إلى نائب وزير الخارجية. في أثناء جلسات الاستماع الخاصة بتثبيتته في منصبه الجديد، تعرض لانتقادات حادة من الجمهوريين لقلقه الشديد بشأن موقف روسيا من توسيع الناتو، وبدا أن النقد قد أثار حنقه، خاصة بعد فوز الجمهوريين في الانتخابات النصفية عام 1994. بحلول أوائل عام 1995، أصبح أكثر حدة في تأكيدات، كما يتضح من نقده لاستعارة آل غور ليلتسن؛ لأنه اعتبرها إشارة خاطئة إلى أنه يتعين على الولايات المتحدة وروسيا التحرك معاً والمناورة، وقال: "في الواقع، روسيا هي التي يجب أن تتحرك نحونا، نحو طريقنا في إدارة الشؤون العالمية". واعترف بأنه "بالنسبة إلى بعض الأمريكيين، فضلا عن كثير من الروس (وغيرهم من غير الأمريكيين)، قد يكون هذا السلوك تأكيداً بغياً لعقيدتنا "الاستثنائية". حسناً، قد تكون هذه الحقيقة صعبة على البعض، ولكن هذه هي الولايات المتحدة، نحن استثنائيون. كما أن نتيجة الحرب الباردة لم تكن التعادل بيننا وبين الاتحاد السوفيتي؛ لقد انتصرنا وهم هُزموا، ولم يكن هناك مبرر لكي نقف في منتصف الطريق مع السوفيت، وبالتأكيد لن نفعل ذلك الآن مع روسيا أيضاً؛ لذا فإن "روسيا إما أن تأتي في طريقنا وتتبعنا، وإما لا تأتي، وفي هذه الحالة ستنهار، كما انهار الاتحاد السوفيتي".

ثم قدم تالبوت ما اعتقد أنه استعارة أفضل، استعارة الولايات المتحدة باعتبارها "منارة، تضيء الطريق نحو الانتخابات الديمقراطية، والصحافة الحرة، والتعددية، والأسواق المفتوحة، والمجتمع المدني، وسيادة القانون، والقضاء المستقل، والضوابط والتوازنات، واحترام حقوق الأقليات، والسيطرة المدنية على الجيش". نتيجة لذلك، ينبغي أن تهدف استراتيجية الولايات



المتحدة إلى "تأكيد أن السفينة الروسية المتهالكة، وقاعها النتن الذي يتسرب منه الماء من كل أنحائها المتضخمة، والتي يقودها قبطان استبدادي شارذ مع طاقم شبه متمرذ، لا يمكنهم توجيه سفينة روسيا توجيهًا جيدًا نحو نقطة واضحة في الأفق".

في عام 1995 عبّر تالبوت عن أفكاره بشأن توسيع حلف الناتو، في مقال له نشر على نطاق عريض في المطبوعة نصف الشهرية "مراجعة نيويورك للكتب" (THE NEW YORK REVIEW OF BOOKS) بعنوان «لماذا يجب على الناتو أن ينمو». بعد ذلك أدرك الجميع أن شيئًا عميقًا قد تغير. وقد ذكر مايكل ماكفول (MICHAEL McFAUL)، سفير الولايات المتحدة المستقبلية لدى روسيا، تلك المقالة على أنها "اللحظة التي أصبح فيها ما كان يقال في السر على المستوى الداخلي، يطرح في العلن، ولم يعد هناك مجال للتراجع".

بعدما أصبح تالبوت الآن على الجانب الآخر من البحيرة، ومعه الترويك، وهولبروك، وغيرهم، كان من الواضح أن الزخم يزداد بوضوح، وبشكل أكثر مباشرة، لتوسيع الناتو. بحلول عيد الميلاد عام 1994، نبهت برقية مُسربة من السفير الألماني لدى الناتو العالم على أن الولايات المتحدة تتخلى عن استراتيجيتها المتمثلة في روسيا أولاً. في يناير (كانون الثاني) 1995، ألقى كلينتون خطابًا في كليفلاند أكد فيه أن توسيع الناتو بات أمرًا لا مفر منه. في يناير (كانون الثاني) أيضًا، أرسلت وزارة الخارجية عبر البعثة الأمريكية إلى الناتو نصًا مفاده: "تعتقد الولايات المتحدة أنه يجب أن ينبثق عن المداولات الداخلية للحلف تصور نهائي بشأن توسيعه". كما أعلنت أنه "لن تكون هناك ضمانات أمنية من الدرجة الثانية، في تراجع لواشنطن عن استراتيجيتها لدراسة عملية التوسيع في عرضها السابق".



ونظراً إلى أن هولبروك كان قادراً على تقديم المشورة لوارسو، فإن عام 1994 كان «العام الذي التزم فيه الناتو بالتوسيع، وتم فيه تأكيد أن بولندا ستكون المستفيد المحتمل من هذا القرار». رد السناتور سام نان (SAM NUNN) قائلاً في خطاب ألقاه: "لن يتعزز أمن الناتو وجيران روسيا ودول أوروبا الشرقية عبر استفزاز روسيا، واقترب الإصبع العسكرية الروسية من الزناد النووي". على الرغم من مخاوف نان، في 16 فبراير (شباط) 1995، فإن الكونغرس أقر (قانون توسيع الناتو لعام 1995)؛ ومن ثم أضحى الطابع الرسمي على هذه العملية من خلال دعم الكونغرس.

لم تنتهِ قصة توسيع الناتو بالطبع عند هذا الحد. كثير من المناقشات كانت لا تزال قائمة بشأن العدد الدقيق للدول التي سيتم قبولها (ثلاث أو خمس، إذا ضُمَّت سلوفاكيا أو رومانيا)، وبشأن كيفية تأمين تصديق مجلس الشيوخ ما إذا كانت هناك جولات لاحقة من التوسيع وعددها، والتكلفة الفعلية. بحلول أوائل عام 1995، كان مخطط التوسيع - كما حدث لاحقاً - في مكانه الصحيح. لإعادة صياغة ما قاله أسموس، كان عام 1994 هو العام الذي قررت فيه واشنطن كيفية توسيع الناتو. في أعقاب هذا القرار مباشرة ستبتكر واشنطن وموسكو طرقاً مؤقتة لإصلاح خلافاتهما، وستنضم روسيا بفتور إلى (الشراكة من أجل السلام)، ثم لاحقاً حصلت روسيا على جائزة ترضية من خلال اتفاقية غير مُلزمة تسمى "قانون تأسيس الناتو وروسيا" (THE NATO-RUSSIA FOUNDING ACT) للسماح لها بحفظ ماء الوجه، لكن روح اتفاقية التعاون لن تتماشى مع إعلان (الشراكة من أجل السلام).

الاستنتاجات

لماذا قررت إدارة كلينتون قبل خمسة وعشرين عاماً توسيع التحالف الأطلسي بالطريقة التي فعلته بها؟



جاء القرار في ظل عملية "تصعيد" مع ثلاثة تطورات رئيسية: «أحدها في عهد الرئيس بوش الأب عام 1990، للحفاظ على هيمنة الناتو في مواجهة بدائل ما بعد الحرب الباردة، واثنان في عهد الرئيس كلينتون، حيث تم في البداية استخدام نهج مرحلي متجسد في (الشراكة من أجل السلام)، ثم حدث التحول- في النهاية- إلى نمط التوسيع الكامل للمادة (5)». بدأ وضع الضمان الكامل هذا من بعض النواحي هو الحل الأسهل والأكثر وضوحاً؛ لأنه لم يتطلب تطوير مؤسسة جديدة، أو أشكال جديدة لعضوية التحالف بالطريقة التي فعلتها (الشراكة من أجل السلام)، ولكن كان من المرجح أيضاً أن يتسبب في احتكاك مع روسيا.

توضح الأدلة المقدمة أعلاه أن كثيراً من العوامل التاريخية مجتمعة قد أدت إلى إنتاج نجاح لمؤيدي التوسيع الكامل الضمان. في البداية، اكتسب دعاة (الشراكة من أجل السلام) اليد العليا من خلال الاعتماد على الرغبة في خلق منظمة حفظ سلام للمساعدة في أزمة البلقان، وهو ما يمكن- بدوره- أن يبت حياة جديدة في التحالف، وأهم من ذلك، القلق بشأن التأثير المحتمل في الحد من الأسلحة الثنائية بين الولايات المتحدة وروسيا، الذي ينطوي عليه التوسيع الفوري الكامل للمادة (5). لكن بحلول نهاية عام 1994، انتصر معارضو هذا النهج التدريجي، ويرجع الفضل في ذلك- إلى حد كبير- إلى:

1. العثرات التي ارتكبتها روسيا، والتي كانت تسمح للفساد بإفشال الإصلاحات الداخلية؛ ومحاولة استخدام (الشراكة من أجل السلام) و (منظمة الأمن والتعاون في أوروبا) لإضعاف الناتو أو تمزيقه؛ والدخول في صراع فاشل في الشيشان، مما أثار مخاوف من مثل هذه النزاعات في المستقبل في أماكن أخرى.



2. الضغوط التي قامت بها دول أوروبا الوسطى والشرقية من أجل توسيع الناتو بشكل أسرع.

3. يضاف إلى كل ما سبق، النجاح الذي حققه الجمهوريون في انتخابات التجديد النصفى لعام 1994 على أساس برنامج أيد توسيعاً أسرع للناتو.

ساعدت التحولات الجيوسياسية الرئيسية عام 1994 معارضي النهج التدريجي، وفقاً للعناصر التالية:

أولاً: الانسحاب النهائي لجميع القوات السوفيتية السابقة المتبقية من ألمانيا؛ مما أزال المكابح المحتملة للتوسيع.

ثانياً: البداية الواعدة الخاصة بنقل الأسلحة النووية من أوكرانيا إلى روسيا. قبل أن يبدأ هذا النقل كانت الحاجة إلى توفير شكل من أشكال الشراكة الأمنية لأوكرانيا الشغل الشاغل لواضعي السياسات. وكما أشار كلينتون بنفسه، فإن هذه الحاجة ساعدت عليها (الشراكة من أجل السلام)؛ لأن أوكرانيا يمكن أن تكون بسهولة في هذه الشراكة، ولكن سيكون من الصعب عليها أن تصبح عضواً كاملاً في الناتو؛ لأسباب اقتصادية، وجغرافية، وأسباب أخرى. بعد أن وافقت الحكومة الأوكرانية على التخلي عن الأسلحة النووية السوفيتية السابقة، أصبحت هذه الحاجة أقل إلحاحاً.

ثالثاً: كان التفاعل الرئيسي مع العوامل الأخرى هو تعاطف الرئيس كلينتون المتزايد مع نداءات قادة أوروبا الوسطى والشرقية؛ مما دفعه نحو أولئك المساعدين الذين يضغطون من أجل توسيع المادة (5) بالكامل، وتفؤله الشخصي بأن روسيا سوف تتسامح في النهاية مع التوسيع.

لكن السؤال هنا: ما عواقب تسلسل هذه الأحداث؟



في أعقاب فوز الحزب الجمهوري في انتخابات التجديد النصفى عام 1994، كانت دول أوروبا الوسطى والشرقية على الطريق نحو ضمانات المادة (5) بشكل أقرب مما كانت عليه في ظل (الشراكة من أجل السلام)، لكنها أصبحت أيضاً خط المواجهة الجديد في أوروبا. بالفعل، في أكتوبر (تشرين الأول) 1997، تساءل السناتور جو بايدن (Joe Bi den) بصوت عالٍ عما إذا كان "استمرار الشراكة من أجل السلام، التي اتضح أنها أكثر قوة ونجاحاً بكثير مما أعتقد في البداية، قد يكون الطريقة الأفضل". بعبارة أخرى، "مواصلة هذه العملية وتعزيزها قبل الانتقال إلى التوسيع، فإذا ما انتقلت إلى التوسيع، فسيكون ذلك الخيار الأفضل". ردد آخرون آراء بايدن. أشارت أنجيلا ستنت، عام 1999، إلى أن (الشراكة من أجل السلام) كانت "برنامجاً مرناً بلا حدود، يمكن أن يكون في الوقت نفسه بديلاً لعضوية الناتو المباشرة، وطريقاً إليها".

أخيراً، جادل آشتون كارتر (ASHTON CARTER) وويليام بيرى، بأنه كان من الأفضل "تأجيل قبول الأعضاء الجدد، الذي كان من الممكن تحقيقه في الوقت المناسب من خلال أعمال الشراكة من أجل السلام، التي تعززها عمليات مشتركة مخصصة، كما هي الحال في البوسنة". من وجهة نظر بيرى، فإن اتفاقيات الحد من التسليح، وعلى الأخص اتفاقية (ستارت 2)، كانت ستقضي على ثلثي الترسانات النووية الأمريكية والروسية، لكنها لم تدخل حيز التنفيذ قط، وانتهى الأمر بها إلى أن تصبح "ضحية لتوسيع الناتو"، وجزءاً من الصراع بين الكرملين والدوما. عانت اتفاقية (ستارت 3) مصيراً مماثلاً، ولم تُقدّم حتى للتوقيع. بالنظر إلى الوراثة، في عام 2015، خلص بيرى إلى أن "الجوانب السلبية لعضوية الناتو المبكرة لدول أوروبا الشرقية كانت أسوأ مما كان يخشى".



بعبارة أخرى، كان التحدي النهائي في أوروبا ما بعد الحرب الباردة، هو إيجاد طريقة لدمج روسيا كعنصر بناء، وليس كمتحدٍ تصادمي. دائماً ما تكون المضاربة على الحقائق المضادة محفوفة بالمخاطر، لا سيما إذا كانت تتضمن موسكو. كما قال صديق الكاتب الروسي ألكسندر وشكين (ALEXANDER PUSHKIN)، الأمير يوتر أندرييفيتش فيازيمسكي (PYOTR ANDREYEVICH VYAZEMSKY) ذات مرة: "إذا كنت تريد أن يخدع أجنبي نفسه، فاطلب منه فقط إصدار حكم بشأن روسيا". ومع وضع هذا الحذر في الحسبان، تشير الأدلة إلى أن (الشراكة من أجل السلام) التي انضمت إليها موسكو في النهاية، كانت ستتيح لها فرصة أفضل للسماح للغرب بمواصلة التعاون مع روسيا في أثناء توسيع التحالف. إضافة إلى ذلك، فإن هناك عنصر ثالث سعى لتهميش (الشراكة من أجل السلام) في لحظة حرجة من الجدل السياسي المحلي الروسي، حيث حولت النخب في موسكو أولوياتها بعيداً عن التحول الديمقراطي، ونحو الحفاظ على مكانة القوة العظمى باعتبارها الهدف الأعلى للبلاد. كان هذا التحول يحدث بشكل مستقل عن عملية صنع القرار الأمريكية بشأن مستقبل الناتو، لكن التحول في سياسة الولايات المتحدة لدرء التوسيع الكامل الضمانات ساعد على تكثيفه.

كما جادل المؤرخ النرويجي آرني ويستاد (ARNE WESTAD): "من الواضح أن الغرب كان يجب أن يتعامل مع روسيا ما بعد الحرب الباردة تعاملًا أفضل مما فعل"، لأسباب ليس أقلها أن "روسيا ستظل تحت جميع الظروف دولة حاسمة في أي نظام دولي بسبب مساحتها الضخمة". إن استعادة سرد قصة توسيع الناتو، مع الاستفادة من الإدراك المتأخر والأدلة الجديدة على حدٍ سواء، تكشف عن الحاجة إلى إعادة صياغة النقاش بشأن التوسيع. في كثير من الأحيان، يتحول الجدل بشأن التوسيع إلى ثنائي حدي: (أبيض أو أسود، جيد



أو سيئ). من خلال تحويل التركيز إلى التنفيذ، يصبح من الواضح أنه كان هناك مجموعة من احتمالات التوسيع، وأن الاستراتيجيات البديلة على هذا الطيف ربما كانت ستعمل بشكل أفضل؛ لذلك، بدلاً من التساؤل مرة أخرى عما إذا كان التوسيع صحيحاً أم خاطئاً، فمن الأفضل أن نتساءل عما إذا كانت استراتيجية التوسيع التي اختيرت- التي كان يرمز إليها بـ "كيف"- تتناسب مع هدف تعظيم المكاسب الأمنية الطويلة الأجل للولايات المتحدة وحلفائها أم لا؟

بعد مرور 25 عاماً، ومع تصاعد المواجهة الأمريكية- الروسية، وانحياز الديمقراطية في المجر وبولندا، وعودة الدبابات الأمريكية إلى أوروبا، هناك مجال للشك. مع ذلك، وبالنظر إلى نافذة الفرصة للتغيير المغلقة الآن بإحكام، يجب على الناطو أن يستفيد من الوضع الراهن على أفضل وجه، في المستقبل المنظور، بعدما أصبحت المواجهة مع روسيا مرة أخرى هي النظام السائد اليوم.

في الختام، كان هناك كثير من السوابق لتوسيع حلف الناتو في أثناء الحرب الباردة، وظهرت خيارات أخرى بعد الحرب الباردة في أوائل التسعينيات. أصبحت هذه البدائل الآن في طي النسيان إلى حد كبير. وكما أكد الرئيس كلينتون باستمرار في ذلك الوقت، فإن ما يهم ليس فقط "متى؟" ولكن أيضاً "كيفية" التوسيع. برز توسيع الضمان الكامل على أنه "كيفي" في أعقاب فوز الحزب الجمهوري في انتخابات التجديد النصفي عام 1994، ونتيجة للمناورات العدوانية من أنصاره.



يُظهر لنا هذا البحث، والأدلة التي توافرت لدينا اليوم، والتي تشرح بوضوح مراحل توسيع الناتو، والإرث الذي خلفه هذا التوسيع، ما قد يبدو سؤالاً ثانوياً عن كيفية تنفيذ الولايات المتحدة لاستراتيجيتها. إلا أنه السؤال الأهم بقدر أهمية ما إذا كانت تفعل ذلك، ومتى؟⁸

¹ يشير هذا المصطلح (عبور نهر روبيكون) إلى اللحظة الفارقة في تاريخ الرومان سنة 49 ق.م. بعد عبور يوليوس قيصر النهر، وإعلان الإمبراطورية الرومانية.

² الشراكة من أجل السلام هي منظمة تابعة لحلف شمال الأطلسي (الناتو) تهدف إلى خلق الثقة بين الناتو ودول أخرى في أوروبا وجمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق، تتكون من 22 دولة. وهي مبادرة أمريكية تم تنفيذها بعد اقتراح في اجتماع لوزراء الدفاع لحلف شمال الأطلسي في ألمانيا في 20-21 أكتوبر 1993، وأطلقت رسمياً في 10-11 يناير 1994 في قمة في بروكسل لمنظمة حلف شمال الأطلسي.

³ معاهدة بين جمهورية ألمانيا الاتحادية "ألمانيا الغربية"، وجمهورية ألمانيا الديمقراطية "ألمانيا الشرقية" وهما (المسمتان اثنتين)، والقوى الأربع التي احتلت ألمانيا في نهاية الحرب العالمية الثانية: (فرنسا، والاتحاد السوفيتي، والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة) - تم توقيعها في 12 سبتمبر/أيلول 1991، وتخلت بموجبها القوى الأربع في المعاهدة عن جميع الحقوق التي تحتفظ بها في ألمانيا؛ مما سمح لألمانيا الموحدة بأن تصبح ذات سيادة كاملة في العام التالي.

⁴ منحة رودس، هي منحة دراسية دولية تتيح لطلبة الدراسات العليا الأجانب الدراسة بجامعة أكسفورد البريطانية. سميت بهذا الاسم نسبة إلى السياسي البريطاني سيسل رودس، وكانت - وقت إنشائها - أول برنامج موسع للمنح الدراسية الدولية في العالم. وما زال يُنظر لهذه المنحة باعتبارها واحدة من أرفع برامج المنح الدراسية على مستوى العالم. تقوم أمانة المنحة بتسديد الرسوم الدراسية عن الطلاب، إلى جانب منح الطلاب راتباً شهرياً لتغطية نفقات الإقامة والمعيشة.

⁵ أنشأ الحلفاء مجلس تعاون شمال الأطلسي (NACC) في 20 ديسمبر 1991 كمنتدى للحوار والتعاون مع خصوم حلف الناتو السابقين. بهدف تجسيد "يد الصداقة" التي امتدت في اجتماع قمة يوليو 1990 في لندن، عندما اقترح قادة الحلفاء علاقة تعاونية جديدة مع جميع البلدان في وسط وشرق أوروبا في أعقاب نهاية الحرب الباردة.

⁶ المشاعر المعادية لروسيا، والتي يشار إليها عادة باسم رهاب روسيا، التي تصف التحيز أو الخوف أو الكراهية ضد روسيا والروس والثقافة الروسية. كانت هذه الحركة موجودة في الماضي، وفي الوقت الحاضر، توجد مجموعة متنوعة من كليشيهات الثقافة الجماهيرية والصور النمطية السلبية عن الروس. قد يكون لدى بعض الأفراد تحيز أو كراهية ضد الروس بسبب التاريخ أو العنصرية أو الدعاية أو الصور النمطية الراسخة والكراهية.

⁷ خط حدودي يفصل بين ألمانيا وبولندا نتيجةً لآثار الحرب العالمية الثانية، وهو قائم على أساس جغرافي، عبارة عن مجرى نهر أودر ونابسه، حيث إن الأخير يصب في الأول ليصب في نهاية المطاف في بحر البلطيق.

⁸ By: M.E. SAROTTE - INTERNATIONAL SECURITY - HOW TO ENLARGE NATO: THE DEBATE INSIDE THE CLINTON ADMINISTRATION, 1993-95 - JULY 01 2019, <https://direct.mit.edu/isec/article/44/1/7/12232/How-to-Enlarge-NATO-The-Debate-Inside-the-Clinton>